المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الخمسين

١ ابريل (نيسان) سنة ١٩١٧ — الموافق ١٩ جمادى الثانية سنة ١٣٣٥

الحياة بعد الموت

ومناجاة الارواح

السر اوليفر لُدج من اشهر علماء الطبيعة في هذا العصر . وهو من المعتقدين ان ارواح الناس تخرج من اجسادهم وقتما يموتون وتلبس اجساداً روحية وتبقى في الفضاء بوجدانها ومشاعرها وقواها العقلية وتتصل ببعض الاحياء فيرونها بهذه الاجساد ويخاطبونها وتخاطبهم كأنها لم تزل باجسادها الارضية . وعندهُ ان هذا الاعتقاد سيشيع قريباً اذ تكثر الادلة على صحتهِ ويزيد عدد الذين يخاطبون ارواح الموتى فيتم الاتصال بين العالم الفاني والعالم الباقي او بين الحياة الدنيا والحياة الاخرى .

كان لهُ ولد اسمهُ ريمُنْد Raymond تطوَّع في بداءة هذه الحرب وقُتل وهو يحارب في فرنسا . ثم تمكَّن من محادثتهِ مراراً بواسطة بعض الوسطاء الذين يناجون الارواح اي الذين يقولون ان الارواح تتجلَّى لهم وتخاطبهم بوسائل مختلفة . فجمع هذه المحادثات في كتاب كبير والحقهُ بفصول علمية وفلسفية في الحياة والخلود وتفاعل العقل والمادة والبعث والوجدان ومناجاة الارواح واساليبها وموقف العلماء والفلاسفة تجاه ذلك كلهِ . فراج هذا الكتاب رواجاً منقطع النظير طبع اولاً وعرض للبيع في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٦ فنفدت نسخهُ حالاً ثم طُبع ثانية وثالثة ورابعة قبلما انتهى شهر نوفمبر واعيد طبعهُ مرتين في دسمبر . واما نحن الآن الطبعة السادسة منهُ الصادرة في دسمبر ولعلهُ طُبع مراراً اخرى بعد ذلك لشدَّة الرغبة في مطالعتهِ ولان الموضوع مهم جدًّا يهمُّ كل احد ومؤلف الكتاب من اكبر علماء العصر الذين ينتظر منهم ان لا يقرروا امراً الاَّ بعد الوقوف على ادلة كافية لتقريره . ومرادنا ان

نلخص بعض ما جاء في هذا الكتاب مما نراهُ ادنى من غيرهِ على اعتقاد المؤلف واشد اتصالاً بهِ تأييداً كان او نفياً ثم نبدي رأينا في ذلك كلهِ

ملخص ترجمة ريمند لدج

ريمند لدج هو الابن الاصغر للسر اوليفر لدج ولد في ليربول في ٢٥ يناير سنة ١٨٨٩ وتلقى دروسهُ العالية في جامعة برمنهام وانقطع للهندسة الميكانيكية والكهربائية واشتغل بهما في معمل لاخوتهِ . ولما نشبت الحرب تطوَّع في الجيش البريطاني كملازم ثانٍ في سبتمبر سنة ١٩١٤ . وتمرَّن على الاعمال الحربية وأُرسل الى فرنسا في ربيع سنة ١٩١٥ ضابطاً للذين ينشئون الخنادق ثم للذين يطلقون البنادق الآلية . وكان عنوان الهمَّة والبسالة مع الادب والظرف . واصابتهُ شظية من قنبلة من قنابل الالمان في ١٤ سبتمبر سنة ١٩١٥ فمات منها بعد بضع ساعات ووصل نعيهُ الى والديهِ في ١٧ سبتمبر وقد كتب ابوهُ في وصفهِ في ٣٠ سبتمبر ما ملخصهُ

كان ابني الاصغر في صباهُ اشبه كل اولادي بي في صباي فكان يذكرني بما كنت عليهِ لما كنتُ في سنهِ . ورآهُ مرةً رجل كان من رفاقي في المدرسة لما كان عمري بين الثامنة والحادية عشرة فقال انهُ يشبهني تماماً . ولم يقتصر الشبه بيننا على الشكل الظاهر بل كان يشبهني ايضاً في الاخلاق وفي لفظ بعض الحروف . وقوي الشبه العقلي بيننا بتقدمهِ في السن فاننا كلينا كنا نميل الى العلوم الهندسية وعلم الآلات اما انا فلم يتيسَّر لي العمل بهذا الميل فتحوَّلت الى العلوم الطبيعية واما هو فميلهُ الى العلوم الهندسية كان اقوى من ميلي اليها فانقطع لها . وكان اقوى مني عزيمة ولو فُسح لهُ في الاجل لصار من مشاهير المهندسين . ولم يكن شيءٌ ابعد عن ذوقهِ من الانتظام في سلك رجال الحرب ولكن شعورهُ بما يجب عليهِ لوطنهِ دفعهُ الى هذه الخطة . وكان يتوقى في مسرعة الخاطر وفكاهة الحديث فكان عنوان الكياسة والظرف في اجتماعاتنا البيتية . ولكثرة اشغالي لم ارَ منهُ ومن سائر اخوتهِ الاَّ القليل ولكن رباط المحبة كانت وثيقة بيني وبينهم . ولا اتذكر انهُ فعل شيئاً طول عمرهِ يغيظني . ولقد كان في كل الاعمال التي تقتضي جدًّا وهمَّة من افضل الشبان الذين عرفتهم . وكنا كنا نتوقع لهُ عمراً طويلاً مقروناً بالنجاح والثناء . ولم اكن اتمنَّى ان يغيِّر شيئاً من اخلاقهِ واطوارهِ ولكنني كنت اود ان يكون شديد الميل الى العلوم الطبيعية مثلي

لما نشبت الحرب كنت انا وامهُ في استراليا فلم نسمع بتطوعهِ الاَّ بعدما تطوَّع . ولما أُرسل الى ميدان القتال في ١٠ مارس سنة ١٩١٥ استخدم معارفهُ الهندسية في حفر

الخادق واقامة السُّتَر التي تقي الجنود ثم صار ضابطاً لمطلق البنادق الآلية . ولقد كنا نتوقع رجوعهُ الينا سالماً فيبذل جهدنا في مسرتهِ تكي تنسيهُ ما لقي من المشاق وشظف العيش وهو في ميدان القتال . فلما وصل نعيهُ الينا اسودَّت الدنيا في عيوننا ولكننا تعزينا بان همتهُ وعزيمتهُ ومقدرتهُ العقلية لا بدَّ من ان تبقى معهُ وتفيد نوع الانسان اكثر مما كنَّا نقدر لهُ في هذه الدنيا . ونحن نتوقع ذلك الآن

ولم نكن نعرف كثيراً عن اميالهِ الدينية ولكن وجد بين امتعتهِ لما قُتل توراة صغيرة مما يوضع في الجيب وقد كُتب على الورقة البيضاء التي في اولها بقلم الرصاص اشارات الى كثير من الآيات والفصول التي تشير الى ان الله يكون مع شعبهِ دائماً ولا يتركهم

وكتبت امهُ في ٢٦ سبتمبر سنة ١٩١٥ تقول

« أعزي النفس عنهُ بالتأسي

« ريجنلد حبيبي لقد فارقتنا وانا اكتب لاخفف بعض لوعتي ولاقنع نفسي انك الآن في غبطة وان ما اسمعهُ منك حقيقة لا وَهْم . انقطعتْ مكاتيبك عني يا اعز الابناء عليَّ ولقد كانت احب الاشياء اليَّ ولم ازل محتفظة بما جاءني منها وساطيعها في كتاب

« سيدوم هذا الفراق الى ان الحق بك . لم ارك في هذه الدار الفانية قدر ما كنت اود فاحبُّ ذكرى الاوقات التي قضيتها معك ولاسيما في سفرنا الى ايطاليا حينما اختصصتُ بك يا حبيبي

« لقد علمنا انك قمت بما يُطلَب منك لبلادك قياماً مجيداً واقدمت اقدام الشجاع ولم يبدُ منك شيء من الوهن او ضعف العزيمة . وانك كنت دائماً خفيف الروح تبش في وجوه رفاقك وتمد اليهم يد المساعدة . ولا بدَّ من انك تدري الآن لوعة اخوتك واخواتك وابيك الحزين »

وبلي ذلك ٥٧ صفحة بحرف دقيق فيها المكاتيب التي بعث بها الى اهلهِ من ١٦ مارس حينما ذهب الى فرنسا الى ١٢ سبتمبر و يظهر منها انهُ كان ادبياً شجاعاً خفيف الروح شديد الحماسة محبًّا لرفاقك ومحبوباً منهم . وبعدها تلغراف من وزارة الحربية الى ابيهِ تعزيهِ اليهِ . وتلغراف من الملك والملكة يعزيان والديهِ عن فقدهِ ومكاتيب عديدة من الضباط والرفاق وكلها شاهدة بادبهِ وظرفهِ وشجاعتهِ ومهارتهِ

ثم اورد السر اوليفر لدحج الادلة الكثيرة على اتصال الاموات بالاحياء وهي الغرض المقصود بالذات من الكتاب

قال ان اول خبر جاءني مما يدلُّ على ما سيصيب ابني انذار من روح الاستاذ ميرس بواسطة مسز بيبر بامبركا ابلغها اياهُ رتشرد مدجصن على ما يظهر حينما كانت سيدة اسمها

مس روبنس في بيتها في ٨ اغسطس سنة ١٩١٥ في جلسة تسنيتها بها عن امور خاصة . قد بعثت اليَّ ابنتها مس التا بيبر بالكتابة الاصلية التي كتبتها مسز بيبر اذ كانت في الغيبوبة وهي مبدوءة بامور تختص بمس روبنس ولا علاقة لها بي ثم انتقل الحديث فجأة اليَّ فقد قال فيها هدجصن

الآن يا لدج لم نبقَ هنا كما كنا من قبلُ تماماً ولكننا لم نزل قريبين قرباً كافياً حتى نتراسل . يقول ميرس الك ان تأخذ جانب الشاعر وهو يفعل كفونس فونس

فقالت مس روبنس أتقول فونس ؟

فقال نعم وميرس يحميني . وهو يفهم المراد

ما قولك يا لدج . نعم . اسأل مسز ثرول وهي تفهم المراد ايضاً . هكذا يقول ارثر

فقالت مس روبنس اتعني ارثر تنعسن

فقال كلا . ميرس يعلم . انت خلطت بين الواحد والآخر ولكن ميرس اشار الى الشاعر وفونس

[ومسز بيبر وسيطة اميركية مشهورة وميرس من مؤسسي جمعية المباحث النفسية وهدجصن من اعضائها وقد مانا وتجد كلاماً وافياً عن الثلاثة في المجلد ٣٧ من المقتطف]

والذين لا يعلمون الآداب اللاتينية لا يفهمون شيئاً من الكلام المتقدم وانا نفسي لم افهم منهُ سوى ان ميرس اشار الى شيء حقيقي تمكن معرفتهُ او الى اقتباس من كتب القدماء يعلمهُ من كان عارفاً بها مثل مسز ثرول . فكتبت اليها اسألها ما هو معنى الشاعر وفونس وهل احدهما هي الآخر . فاجابتني حالاً في ٨ سبتمبر تقول « ان هذا الكلام يشير الى ما ذكرهُ هوراشيوس الشاعر الروماني عن نجاتهِ من الموت اذ وقعت عليهِ شجرة وقد نسب نجاتهُ حينئذٍ الى المعبود فونس حامي الشعراء » وذكرت لي الابيات التي ورد فيها هذا الكلام ثم قالت « انها مألوفة لدى كل الذين قرأوا اشعار هوراشيوس لنكتة في تركيبها اللغوي ولها شأن عندي بنوع خاص لعلاقة تاريخية بينها وبين سائر قصائدهِ التي انا وقلما يقول بها شر وهو هذه القصائد ولعلَّ ذلك هو سبب الاشارة اليَّ عند ذكرها »

[وكان زوجها من اعضاء جمعية المباحث النفسية]

فاستنتجتُ من ذلك ان نكتةً ما ستقع بي ولكن تعذَّر عليَّ ان افهم كيف يحميني ميرس منها وخطر لي ان النكتة ستكون مالية لا شخصية . ووصلت اليَّ رسالة مسز بيبر في اوائل سبتمبر وكنت في اسكتلندا وقُتل ابني في ٤ سبتمبر وجاءني نعيهُ من وزارة الحربية في

١٧ سبتمبر . وكثيراً ما يُرمَز بوقوع الشجرة الى الموت . ثم اني سألت كثيرين من علماء الاداب اللاتينية كما سألت مسز فرول فاجابوني كما اجابتني هي مشيرين الى قول هوراشيوس . وقال القس بيفيلد ان هوراشيوس لم يقل ان فونس حمى الشاعر من وقوع الشجرة عليهِ بل قال انهُ خفَّف الضرر من وقوعها عليهِ فلم تقتلهُ . ومفاد ذلك ان الضربة تقع عليك ولكنها لا تؤذيك كثيراً ومراد ميرس ان ابنك لم يزل حيًّا ولو كان قد مات

وجاءني من مسز بيبر كتاب آخر تاريخهُ ٥ اغسطس وصل اليَّ مع الكتاب الاول في اوائل سبتمبر ويقال فيهِ

« نعم تمسَّكْ يا لدج بالايمان والحكمة الآن وثق بكل ما هو سامٍ وصالح الم تُرشدوا كلكم ويعتنِ بكم . استطيع ان اقول كلاً فبايمانك جرى كل شيء على ما يرام ولا يزال جارياً »

ففهمت من قولها كلكم انا واهل بيتي وانها تشير بما جاء من كلامها بعد ذلك الى مصيبة وقع بنا ولكن لولا الاشارة الى « فونس » لزال هذا الامر من بالي فاستنتجت حينئذٍ ان في القولين تحذيراً من امر سيقع . وكتبت الى ابنة مسز بيبر اقول لها ان الاشارة الى الشاعر وفونس واضحة عند عارفي الآداب اللاتينية وانا واثق ان لا علاقة لها بكِ ولا باهلك . ثم ثبت لي ان مسز بيبر لم تكن تعلم شيئاً من معنى الشاعر وفونس

ولما كنت في استراليا في صيف سنة ١٩١٤ (لحضور مجمع ترقية العلوم البريطاني) كتبت اليَّ سيدة اسمها مسز كنَدي كتاباً تاريخهُ ١٦ اغسطس تقول فيهِ

« سيدي العزيز اتجاسر واطلب مساعدتك لانك من الباحثين في مناجاة الارواح . كان لي ابن وحيد (اسمهُ بولس) توفي في ٢٣ يونيو الماضي وفي ٢٥ منهُ شعرت اني مضطرة ان امسك قلم الرصاص واكتب فكتبت على غير قصد مني اسمهُ واجوبة لمسائل سألتهُ اياها والاجوبة كانت مقصورة على كلمة نعم او لا . وبعد ذلك صرت اكتب كل يوم صفحات كثيرة كان هو يحرك لي لكتابتها . واحياناً كنت اكتب مرتين في اليوم او اكثر . ويهمني جداً ان اعرف هل هو الذي يحرك يدي للكتابة او انا اكتب بتخيلي على غير انتباه مني

« فالى عملك التحيُّ والى ما في نفسي لك ولمباحثك من الاحترام . توفي ابني وعمرهُ سبع عشرة سنة واريٰ من العبارات التي يحرك يدي لكتابتها انهُ في حزن شديد لانني غير واثقة انهُ هو الذي يحرك يدي ولذلك اتجاسر واطلب مساعدتك في امر اعدُّهُ من اقدس الامور لديَّ ولو كنتُ غريبةً عنك

« اذا اتيت لندن وقتاً ما اذلا تسمح لي ان اراك ولو نصف ساعة فترى هذه الامور الغريبة التي يوحى بها اليّ وتحكم هل هي حقيقية او هي من مخترعات عقلي الباطن . هذا واني اعتذر اليك عن اطالة الكلام »

فلبيتها بعد ذلك وذهبت معها الى وسيطة اميركية اسمها مسز ريت فرأت منها ما اقنعها ان المتكلم معها هو روح ابنها . ثم تعرفت بوساطة آخرين مثل مسز ڤوت بيترس ومسز أسبين ليونارد . ولما قرأت عن مقتل ابني في الجرائد تكلمت مع روح ابنها وطلبت منهُ ان يساعد ابني واستدأت مسز ليونارد اي طلبت منها ان تنام النوم المغنطيسي وتنبئ بما ترى وتسمع فمن غير ان تخبرها بمقصدها فعلت فاعملها مرشدها باسم ريجند وقال انهُ نائم . وكان ذلك في الثامن عشر من سبتمبر . وفي الحادي والعشرين منهُ كانت مسز كنّدي جالسة تكتب في حديقة دارها فتحرك قلمها في يدها على غير قصد منها كأن روح ابنها حركتهُ وكتب ما يأتي

« انا هنا رأيت ابن السر اوليفر لدج حالهُ اصلح الآن ولقد استراح راحةً تامةً فاخبري اهلهُ »

وأخبرت زوجتي لادي لدج بامر مسز ليونارد وكانت مهتمة بمساعدة سيدة فرنسوية ارملة اسمها مدام لابريتون كانت قد فقدت ولديها فذهبت الى لندن لهذه الغاية وطلبت من مسز كنّدي ان تدبر لي الامر مع مسز ليونارد حتى تجلس لها من غير ان تعرف ممن هي فقرَّ القرار على جلسة في الرابع والعشرين من سبتمبر

وفي ٢٢ سبتمبر كانت مسز كندي جالسة تتكلم مع روح ابنها فكتب قلمها فجأةً ما يأتي

« سأحضر ريجند الى ابيهِ حينما يأتي ليراكم وهو على غاية الظُّرف وكل احد يحبهُ ولقد وجد كثيرين من رفاقهِ هنا . واستقرَّ بهِ المقام فاخبري اباهُ وامهُ انهُ تكلَّم اليوم بصراحة ولم يقلق كالبالغين بل استراح واطمأنَّ . ما ابهج منظرهُ . نام وقتاً طويلاً لكنهُ استيقظ وتكلم اليوم . لو علمتم مقدار شوقنا للتحدُّث معكم لاستدعيتمونا دواماً »

ولما زارتها لادي لدج في ٢٣ سبتمبر كتبت يدها (يد مسز كنّدي) رسالة من ريجند يقول فيها « انا هنا يا امي لقد كلمت اسكندر (اخاهُ . ولكنهُ لم يسمعني . جيدا لو صدَّق اننا نحن هنا في امن وما المكان بمأزق ضيق كما يظن البعض بل هو رحب يحيا فيهِ الانسان . انتظروا حتى ازيد مقدرة على مخاطبتكم ويسهل علينا التعبير عن كل افكارنا ولكن ذلك يأتي مع الزمن »

وفي اليوم التالي ذهب السيدات الثلاث الى مسز ليونارد وهي لا تعلم سوى ان

اثنتين من صديقات مسز كندي اتنا معها . وهاك ما قالتهُ لادي لدج عن هذه الجلسة

اصيبت مسز ليونارد بشيء من الغيبوبة على ما اظن ثم افاقت كانها ابنة هندية اسمها فِدّي وجعلت تحرك يديها وتتكلم كلاماً سخيفاً ثم قالت اني ارى شيخاً وشاباً ووصفتهما (واخبرتني مسز كندي بعدئذٍ انهما ابوها وابنها) . وارى معهما كثيرين غيرهما . ثم وصفت واحداً أتى بهِ مستلقياً عمرهُ بين الرابعة والعشرين والخامسة والعشرين غير قادر على الجلوس . وينطبق وصفها لهُ على ريمُند وقالت انها رأت حرف الراء ظاهراً كبيراً الى جانبهِ . ثم رأت بقية حروف اسمهِ حرفاً حرفاً . وقالت انهُ فتح عينيهِ الآن وتبسّم ثم بانت عليهِ علامات الالم فتألمتُ لالمهِ لكنهُ قال انهُ لم يتألم كثيراً ولا تألم قدر ما ظنت انهُ تألم لكن بولس (ابن مسز كندي) طلب مني ان لا اخبرهُ في ليلة الغد انهُ لم يكن معهُ لانهُ يعتقد انهُ كان معهُ لما مات فلا يريد ان ينزع ذلك من ذهنهِ

فطلبت من مسز ليونارد ان يأتي احد من عالم الارواح و يقبلهُ عني فجاءت امرأة يشبه وصفها وصف امهِ وقبلتهُ وقالت انها تنتمي بهِ وان هناك شيخاً كبيراً لحيتهُ بيضاء والى جانبهِ حرف الواو وهو ايضاً ينتمي بهِ . وقال هذا الشيخ انهُ ابي ريمند وهو مهتم بامرهِ وامر كثيرين غيرهِ . وانهُ نسيب لي ولزوجي . فقلت لها ماذا عمل لي هذا الشيخ فحركت اصابع يدها كمن يسرّح شيئاً مشتبكاً ثم بسطهُ وقالت انهُ سهّل عليّ الامر . فشكرتهُ وقلت لها ان كان ريمند مشغولاً بعنايتهِ وعناية امي فذلك حسبي

وفي اليوم التالي وهو الخامس والعشرون من سبتمبر ذهب السيدات الثلاث الى بيت مسز ليونارد ايضاً لكي يستحضرن المائدة ويلتقطن الذكتور كَندي لكي يكتب ما يقال . فجلس السيدات الثلاث ومسز ليونارد حول مائدة صغيرة ووضعن ايدهن عليها والتقطن على ان تتحرك المائدة عند كل حرف من حروف الهجاء التي تدلي عليها وتقف عند الحرف المراد وتكون الوسيطة هنا مستيقظة غير غائبة . وهذه طائفة من المسائل التي القيت على روح ريمند واجوبتهُ عليها

المسائل	الاجوبة
أأنت وحدك	كلا
من معك	جدي و
اتريد ان تقول لي شيئاً	اني مستوحش لكني اسلي نفسي وارى حولي كثيرين من الاصدقاء

اتقدر ان تذكر لي اسم واحد منهم	آخر (اسم احدى اخواتهِ)
اتريد ان تقول لي شيئاً آخر	قولي لابي انني لقيت بعض اصدقائهِ
مَن مثلاً	ميرس
اهناك غيرهُ	نعم عاي (وهم احد ابناء مدام لايرتون ومن ثم صار الكلام بالفرنسوية)

وفي السابع والعشرين من سبتمبر اخذت مسز كندي تكتب وكأن روح ابنها بولس كانت تحركها للكتابة فكتبت اولاً عن لسان ابنها « يا امي سُمح لي ان آتي بريتند » . ثم جعلت يدها تكتب عن لسان ريتند فكتبت ما يأتي

« الكلام هنا اسهل عليَّ من الكلام بواسطة المائدة لانك تساعدينني على الكلام دائماً وهو اسهل ايضاً وانا معك وحدنا منهُ لو كنا مع جماعة . قولي لهم ان ريتند زارك وان بولس قال لي ان آتي اليك وقتما اريد . انكِ تفضلين علينا بسماحكِ لنا بالمجيء اليكِ

« لقد اخبرني بولس انهُ جاء الى هنا حين كان عمرهُ سبع عشرة سنة وهو شاب ظريف وكل احد يحبهُ ولا عجب في ذلك لانهُ يساعد الجميع . وكل من وقع في مشكل يستعين بهِ »

ثم انتقل الكلام الى بولس فقال عن ريتند انهُ سُرَّ جداً اذ علم انهُ يستطيع ان يخاطب اهلهُ وقد تاه منذ الليل الماضي الى ان قيل لي ان آتي بهِ

وسُئل بولس عن الشابين الفرنسويين فقال اني رأيتهما لما اتيت بهما ولكنني لا اراهما في غير ذلك وهما اكبر مني سنًّا ولا يكادان يصدقان انهما تكلما لانهما كانا يعتقدان ان التكلم مع الناس ضرب من المحال . لكنني لم اقنأ عن حثهما على التكلم مع امهما وإخبارها انهما لا يزالان حيين وعسى ان تكون قد تحققت ذلك

ثم ذهب بولس واتى بفاي وطلب من امهِ ان تكلمهُ فكلمتهُ وطلبت منهُ ان يهتم بالتكلم فاجابها بما يأتي « اظن انكِ تسمينني لانني شرحت كذلك ولكن كيف اتى انا نستطيع ان نخاطبكم وانتم لا تزالون عائشين حيث كنتم ولم تكن قادرين ان تخاطب الاموات فكيف يستطيع الاموات ان يخاطبوا الاحياء . عسى ان لا تتنكري عن مساعدتي لانني محتاج اليها »

ثم قالت لهُ ان يكلم بولس اذا صعب عليهِ الكلام معها فقال « اني احب بولس وهو يساعدني ويسرني ان اتكلم معهُ دائماً اذا سمح لهُ وقتهُ بذلك لانهُ مقصود من الجميع وكأنهُ رسول بيننا وبينكم »

ستأتي البقية

انحطاط البلاد

واسبابهُ

كتب الدكتور فليكس ريتول مقالة في المجلة العلمية الفرنسوية التي تصدر في باريس ذهب فيها الى ان سبب انحطاط بعض البلاد قلة سكانها وغاباتها وازدياد الحمّى الملارية فيها وقد بحث في هذه الاسباب وعلاقتها بعضها ببعض فقال ان هذه العلاقة لا تدرك الاَّ اذا بحثنا في جيولوجية البلاد وغاباتها وسير الطبّ فيها

بلاد اليونان

خذ بلاد اليونان مثلاً فقد كانت في زمان عظمتها مخصبة كثيرة الغابات والحراج مزدحمة بالسكان والصحة العامة فيها على ما يرام. وقدَّر المؤرخون عدد سكانها حينئذٍ بثمانية ملايين نسمة على القليل. وفي زمان الفتح الروماني اي بعد ذلك العهد بقرنين لم تستطع بلاد اليونان ان تجنّد من سكانها اكثر من ثلاثة آلاف رجل شاكي السلاح في رواية فلوطرخس. وقدر بوليبيوس ثمن الاملاك المقررة في شبه جزيرة بلوبونيز (المورة) باقل من ستة آلاف وزنة (نحو مليون ونصف من الجنيهات). وثمن عقارات اثينا من ثابتة ومنتقلة بمبلغ ٥٧٥٠ وزنة (نحو مليون وربع من الجنيهات)

ويعزو المؤرخون قلة السكان في بلاد اليونان الى انفراد مهاجرة البالغين منها. فانهم منذ القرن الرابع قبل المسيح ما فتئوا يغادرون البلاد زرافات ليتجندوا بالاجرة في البلاد الاجنبية كالمرتزقة. ثم جاءت فتوح الاسكندر فاشتدَّ سيل المهاجرة حتى بلغ رياهُ وصدر اهل اليونان أشتاتاً وتفرقوا على وجه اسيا

وربما كان لقلة المواليد يد في ذلك ولكن معلوماتنا عن هذا الامر ضئيلة لا تسقع غلة الباحث. ولا يصح الاستشهاد بقلة عدد السبرطيين الذين لم يزيدوا على بضع مئين في عهد الفتح الروماني اذ المراد بهاتهِ المئين طبقة النبلاء ولا نعلم شيئاً عن العامة — هل تطرق النقص الى صفوفهم ايضاً ام لا

ودامت المهاجرة وقلة المواليد زماناً ليس بطويل. ولو دام للبلاد خصبها لسدَّت ما طرأ عليها من النقص لما جعلت المواليد تزداد واخذ سدّ المهاجرة الى البلاد يطغو وجزر

المهاجرة منها يحصر . ولكن تقص السكان دام لزوال غاباتها من جهة وصيرورتها مباءة للامراض من جهة اخرى فقد ذكر سترابون ان الجبال التي ترى من الساحل باتت جرداء في عصره وابان المستر روز الانكليزي حديثاً ان الملاريا كانت في ذلك العصر نفسه تفتك فتكاً ذريعاً بسكان السهول والاودية

وقد كان زوال الغابات نتيجة قلة السكان . ذلك بان قلة الايدي العاملة في البلاد افضت الى اهمال زرع الارض وتربية الماشية فاضطر اهل السواحل الى التجاع المراعي لقطعانهم في الجبال . ولو جروا في رعاية مواشيهم على قانون ما آل الامر الى ما آل اليهِ من إصارة الجبال قفراء جرداء ولكن طمع الرعاة وجهلهم افضيا الى ازدحام المراعي بالمواشي فكانت تأكل النباتات حتى جذورها وتدوسها بارجلها فتجهز عليها فساءت حالة المراعي سنة فسنة واضطر الرعاة لذلك الى الايغال في الجبال وطلب الكلاء من الغابات فكانت الماشية ترعى الشجيرات التي في غابات المستقبل . وعلى مدى الزمان شاخت الاشجار الكبيرة وهرمت وكثيراً ما كان الرعاة يتجاوزون عليها باضرام النار فيها . ولما لم يكن لها خلف يقوم مقامها لزوال الاباء قبل الآباء اخذ الخراب ينزل بالجبال فكانت الامطار تهطل عليها ولا تبقى فيها خلوها من الاشجار بل تنحدر على سفوحها سيولاً تحمل في طياتها التراب وما يكنهُ من اسباب الماء والزكاء

وبزوال الشجر جعلت الملاريا تنمو وتثري . وقد ذهب المستر روز الى ان بعوض الانوفيل (الناقل لمكروب الملاريا) ليس وطنياً في اليونان بل غريب نزح اليها من بلاد اجنبية رجح انها مصر . ولكن السيو كراديناس أبان بالبرهان ان حمى المستنقعات (الحمى الملارية) وجدت في بلاد اليونان من قديم الزمان . وكانت مساحة البلاد المصابة بها في بادىء الامر صغيرة ثم جعلت تتسع بزوال الاشجار وصيرورة مكانها مستنقعات يولد فيها مكروب الملاريا ويعيش ويموت

اما بلاد اليونان الحديثة المعاصرة لنا فتوسط المواليد فيها عالٍ ولكنها ضيقة باهلها لان الخراب القديم واستئصال الغابات من البلاد لا يزالان على عهدهما الاول فلذلك ترى السكان يتزحون منها جماعات طلباً للرزق خارجها . وفي كل صيف يشتد فتك الملاريا بالسكان ولا يسلم منها الا اهل الجزر اليونانية التي لا تزال غنية بالغابات وهي نموذج حسن لما كانت بلاد اليونان عليهِ في العصور الخوالي

ايطاليا

بين الاسباب الكثيرة التي افضت الى سقوط البلاد الرومانية سبب لا يختلف في جوهرهِ عن الذي افضى الى سقوط بلاد اليونان القديمة قبلها . فانهُ بعد الفتوحات الرومانية جعلت رومية عاصمة السلطنة تزداد غنًى وزهاء مما شاق اليها اهل القرى فاخذوا يؤمونها افواجًا حتى كادت الاريافُ تخلو منهم فوضع الاعيانُ ايديهم عليها واسسوا فيها نظام حكمهم الاقطاعي الجائر . واقلة الايدي العاملة في الارض نشأت رعاية الماشية وازدهت حتى قال احد الكتبة « ان رعاية القطعان حرفة يدفع جوبتر جميع نفقاتها » . وعلى اثر ذلك أُهمل نظام الري القديم في البلاد فانسدّت الترع ثم نسيت اوتنوسيت فلم يذكرها كاتب لاتيني فيما كتب والف . وكان ذلك مبدأ المستنقعات والاراضي الغامرة الكثيرة البعوض فلم ينصرم القرن الاول المسيحي حتى كانت الملاريا تفتك بالسكان اشد فتك

فلم تكن الحروب ولا الاوبئة سبب خلوّ البلاد من اهلها كما زعم قوم . اذ مهما يبلغ جهد العدوّ في الحرب فلا يزيد على اتلاف المواسم وتخريب المزارع فاذا عقد الصلح وعادت المياه الى مجاريها عاد الفلاحون الى اعمالهم العادية من حرث وزرع ولا يتركون حقولهم الخصبة الاَّ اذا تغيرت عقولهم واميالهم . وقد ذكر التاريخ شواهد كثيرة على عود الفلاح الى حرث ارضهِ رغم ما يلقى من المصاعب والعقبات اذا كان متشبثًا بها مفتونًا بحبها . فانهُ لما فتح العرب بلاد الجزائر غمرت المياه بقعًا كثيرة من سهولها فتحولت مستنقعات وبؤرًا للحمّى ثم جاء الفرنسويون فانتشر فلاحوهم في طول البلاد وعرضها يصلحون ما افسد الاهمال فمات كثيرون منهم بالحمّى ولكن الباقين لم يقنطوا بل واصلوا العمل والكد فامتصت الزروع المياه ولم يمضِ الاَّ القليل حتى عادت تلك المستنقعات حقولاً زراعية غنية ملائمة للصحة . وعليهِ ترى انهُ لم يمل بالفلاح الروماني عن ارضهِ عقمها او عدم ملاءمتها للصحة بل فتور حبهِ لها

اما ايطاليا فتخصّ باهلها الآن لان عائلاتها كبيرة وسهول كبانيا وابوليا وتسكانا الخصبة التي كانت في عهد رومية القديمة مراعي للماشي تحولت الآن مزارع للحرث والزرع ولكن البقاع التي تركت قديمًا للملاريا تميث فيها لا تزال حتى الآن مهجورة مضرة بالصحة لا تنفع الاَّ لرعاية الماشية

اسبانيا

وما قيل في ايطاليا يقال في اسبانيا فان من اهمّ الاسباب التي آلت الى سقوطها خلوّها من اهلها بالهاجرة ونقص المواليد ولاسيما بعد اكتشاف اميركا وتحوّل الانظار اليها بما حوت من غابات واسعة ومناجم تكاد تفيض ماساً وتبراً فأمّها اهل القرن السادس عشر واقام معظمهم فيها . وقد كانت املاك اسبانيا في اوربا ممتدة من جزيرة صقلية الى ضفاف البحر البلطيك ومشتملة على امم وشعوب يختلفون كلّ الاختلاف عن الامة الحاكمة في اجناسهم فلم يكن لاسبانيا غنى عن الرجال لحفظ زمام الحكم في يدها فاندبت لذلك زهرة شبانها ونظمتهم في سلك جنديتها واوفدتهم الى هنا وهناك . والذين بقوا في البلاد اما انهم انتظموا في الطغمات الدينية التي تحرم الزواج على اصحابها وكثير ما هي واما انهم تزوجوا فوقفت عليهم اعباء الادارة الداخلية ولكنهم لم يستطيعوا سدّ ما طرأ على البلاد من النقص بالهاجرة وبعث البعوث الى البلاد التي تحت سلطتها وذلك لانهم عمدوا الى حصر نسلهم بتقليل مواليدهم . فلم يجيء القرن السابع عشر حتى كان الانحطاط قد بلغ ادنى دركاته

فخلت رعاية الماشية محلّ زرع الارض كما في بلاد اليونان وايطاليا وربّى اصحاب قشطيلة قطعاناً كبيرة من غنم المرينوس فعادت عليهم باظهر الوافر اذ كان صوف الخروف الواحد يباع عند جزه كل سنة بما قيمتهُ ٤٠ غرشاً . ونال كبار الرعاة امتيازات فاحشة من الحكومة فكانت قطعانهم ترعى في البلاد صيفاً وفي الوهاد شتاء واعطيت حق المرور والشرب اينما كانت . ونهي الفلاحون عن اقامة السياجات والحواجز فالتهمت القطعان نبت البلاد حبوبها وكرمها وزيتونها وباتت قشطيلة قفراً بلقعاً وتحولت انهارها سيولاً جارفة وعمّ الخراب وسادت المجاعة حتى قال احد كتبتهم في وصف هذه الحالة ان الطائر اذا اراد المرور بتلك البلاد حمل معهُ زادهُ من حبّ وماء لئلاّ يهلك جوعاً وعطشاً . وهكذا كان نصيب الاندلس والاراغون بعد ما كانت مزدحمة بالسكان . اما المقاطعات الشمالية فلم ينلها ما نال الجنوبية بل حافظت على بعض نعمتها لبعدها عن كبار المالكين ووقوعها في حوزة صغارهم . على ان الملاريا لم تظهر في قشطيلة لانها صعيد لا يعيش فيهِ بعوض الملاريا (بعوض الانوفيل) بل اقتصر فتكها على بعض سهول الاندلس المحرولة بانخفاضها ورطوبتها

واقدم الامراض الحادثة من فقد المواد الحيوية في الطعام مرض الاسكربوط . وكان كثير الشيوع في الاسفار البحرية الطويلة والحروب والمدن المحصورة وحيث يجل موسم البطاطس في اوربا . واول اعراضه اصفرار اللثة واورام مؤلمة في الساقين والتهاب اللثة وفسادها وخفقان القلب وضعفه وهزال الجسم وضمور العضلات ثم النزف فالتقرح فالاسهال فالاوديما فالموت . ويمكن شفاء المصاب شفاء تاماً في اسبوعين بتناول الخضر والاثمار . وقد اشرف الوف من البحرية على الموت في الاسفار الطويلة ثم انقذوا بشرب عصير الليمون الحامض .

اما سبب الاسكربوط فالاقتصار على اكل البقول المجففة واللحم واللبن المقصين والمحفوظين في علب . ومنه نوع يسمى اسكربوط الاطفال او مرض برلو وهو ناشىء عن اطعام الاطفال لبناً معقماً واعراضه تماثل اعراض الاسكربوط العادي . ويشفون منه في اسبوعين او ثلاثة اسابيع باطعامهم لبناً جديداً وخضراً واثماراً خضراء مع شيء من عصير العنب او البرتقال او الليمون الحامض وشيء من عصير اللحم

اما اللبن المغلى وخصوصاً اللبن الذي كرر تسخينه فيفضي اطعامه للاطفال الى الداء المعروف بالكساح ويصيرهم اكثر استعداداً للتشنج . والاطفال الذين يرضعون من امهاتهم خائون يوجه خاص من هذين المرضين اللذين يصيبان الاطفال الذين يقتاتون بلبن البقر المغلى ويموتان كثيرين منهم . فان اللبن وسائر الاطعمة كاللحم والبيض والاثمار والخضر كثيرة الفيتامين وملائمة للصحة كل الملاءمة اذا كانت نيئة . فاذا جففت اخلى او زال بعض ما فيها من الفيتامين واذا طبخت زال كلة وعليه فكل ما يؤكل من الحبوب يجب جرشه او طحنه واكله بقشوره لانها تحتوي على الفيتامين مع سائر مواد الغذاء

هذه خلاصة ما كتبه الدكتور رينهارت الالماني في احدى المجلات العلمية المشهورة . وقد اشارت مجلة السينتفك اميركان الى بعض ما في اقواله واحكامه من التناقض حيث قالت معلقة عليها :

لا ننكر ان اقوال الكاتب صحيحة اجمالاً ولكن فيها اموراً متناقضة تجب الاشارة اليها . فقد قال ان سبب مرض البري بري اكل الرز خالياً من قشوره المحتوية للفيتامين ولكن الفيتامين يقتل بحرارة الطبخ فلذلك لا نرى فرقاً كبيراً بين اكل الخبز الابيض وخبز القمح المخبوز بقشوره من حيث القيمة الغذائية . ولا بين الرز المبيض والرز غير المبيض اذا طبخا ما دام الفيتامين يموت بحرارة الطبخ . انتهى

هذا و يظهر لنا انهُ يمكن التوفيق بين الكاتب والسينفك اميركان بان حرارة الخبز والطبخ قد تزيل الثيامين وقد لا تزيلهُ فاذا اشتدَّت وطالت مدتها ازالتهُ واذا بقيت عند درجة غليان الماء وقصرت مدتها لم تزلهُ او ازالت بعضهُ فقط . وقد ورد شيء عن خواص الثيامين في مقالة نشرناها في جزء نوفمبر الماضي

التقريظ والانتقاد

قلَّ من مؤلفينا من يعرف غير الشق الاول من شقي هذا الباب اي التقريظ . ذلك بان المؤلف الذي يؤلف كتاباً او كرَّاساً او يترجم رواية ويعرض شيئاً من بضاعتهِ على الجرائد طالباً كتابة شيء عنها ترى في اسارير وجههِ وحركاتهِ عامَّة ما تفهم منهُ انهُ يرجو تقريظاً لا انتقاداً . وكثيراً ما يخرج من التلميح الى التصريح فيطلب من كاتب الجريدة تقريظ مؤلفهِ لا انتقادهُ معتذراً عن هذا التحكم بقولهِ انهُ يعلم ان الانتقاد واجب وان التقريظ والمدح الصرف تضليل للكاتب والقارئ معاً . ولكن لما كان جمهور القراء يحسب الانتقاد معرَّة وغضاضة على الكاتب فهو يرجو الاغضاء عما في كتابتهِ من الخلل والزلل خشية ان يحجم الجمهور عنها فيسدَّ باب الرزق في وجههِ وما هو الاَّ طالب عيش . وبعد هذا وذاك فان العصمة لله ولهُ وحدهُ المكان

اما كاتب الجريدة فاما ان يقول الحق فيغضب المؤلف غالباً لانهُ مهما تكن براعة هذا والمؤلفون البارعون قليل عندنا فلا تخلو كتابتهُ من الخطإ وحينئذٍ يتفتح باب الاخذ والرد والرد على الرد فتفادياً من مثل هذا يعرض المنتقد عن الانتقاد و يكتفي بالفاظ معتادة تقال في كلِّ كتاب مع ان الانتقاد على شدتهِ افضل للمؤلف من امثال هذه الاقوال العامة

الغربيون يعرفون الانتقاد وجمهورهم يحبهُ و يكره التقريظ المجرد وينفر منهُ . وما ذلك الاَّ لانتشار العلم بينهم . فالمؤلف القدير لا يؤلف الاَّ وهو قادر على التأليف ولا يعرض كتاباً لانتقاد الاَّ وهو واثق بما كتب . والمنتقد لا يكيل الانتقاد جزافاً ولا يلقي الكلام على عواهنهِ لأن جمهور القراء مفتحو العيون يميزون الغثَّ من السمين من غير ان يقال لهم هذا غثٌّ وهذا سمين . فاذا الَّف مؤلف كتاباً تحقيقاً ظهرت تحاتهُ حالاً واذا انتقد كاتب انتقاداً كاذباً اتضح كذب انتقادهِ حالاً وفي كلا الحالين هوان للمخطئ وتشهير بهِ

بالامس اصدر المستر روزفلت مجلدهُ الثاني عن رحلتهِ الافريقية . وروزفلت كاتب

انما الحروب والظلم وفساد الاخلاق ونقص المواليد والمهاجرة عوامل زائلة لا اسباب دائمة في انحطاط الامم كما يزعم بعض المؤرخين . فما دام للتربة قوة النماء والخصب فان الخير والرفاه يعودان الى الناس ولو فارقاهم الى حين . ولكن زرع الغابات بعد قطعها وتكوُّن التربة الصالحة لنمو النبات بعد ازالتها وتحويل السيول الجارفة جداول ومجاري يطيشة والاراضي القاحلة بقاعاً عامرة — هذه كلها اعمال تقتضي جهداً طويلاً ومهراً دائماً يقدر عمرها بالقرون وتضحية الاضاحي الكثيرة من النفوس . لذلك ترى بلاد اليونان وايطاليا واسبانيا تعاني الآن ارزاء وويلات جرَّها جهل جيل ماضٍ من الآباء على حدّ قول من قال

وجرم جرَّهُ سفهاء قومٍ وحلَّ بغير جارمهِ العقابُ

لكننا في هذا الزمان اكثر اهبة واحسن عدة لمقاومة امثال هذه النوازل . فمن الجهة الواحدة عرفنا ما جهل اسلافنا من خطرها وجلل امرها لذلك ترى حكوماتنا تقف الاموال الكثيرة على زرع الحراج والغابات والشركات الوطنية تتألف لمراقبة رعاية المواشي فلا تزدحم في بقعة واحدة لتستأصل ما فيها . والملاريا في المستنقعات تقاوم بالكينا وزيت البترول ووضع « الشمريات » في شبابيك البيوت وتربية السمك والطيور والخفافيش والحشرات التي تلتهم بعوض الملاريا

ومن الجهة الاخرى لا تجد ان المهاجرة من بلد ما تحوّل ما فيهِ من المزارع مراعي وذلك بسبب كثرة ما اخترع من الآلات الزراعية التي يستغنى بها عن يد الانسان في حرث الارض وزرعها وكثرة ما مدَّ من سكك الحديد التي تنقل العمال بسرعة الى المزارع متى آن اوان الحصاد

وليس المراد من هذا القول ان الافراط في اخلاء الارض من سكانها لا يعود بالشرّ والوبال عليها بل بالضدّ من ذلك . ففي بعض جهات فرنسا حيث المواليد قليلة ترى الحقول الخصبة مهملة اهمال الاراضي المتوسطة الخصب التي لا تردُّ على اصحابها ما ينفقون من المال وما يبذلون من التعب عليها . ولكن لا جدال في ان ما لدينا من الوسائط الآن يمكّن البلاد التي قلَّ سكانها من اجتياز ازمة القلّة والانسلال منها سليمة فلا يبالنا من الاضمحلال ما نال بعض الامم البائدة

الحبوب المقشورة

قيمتها الغذائية والامراض الناشئة عن اكلها

جرت عادة العلماء ان يقيسوا قيمة كل طعام بما يحتويه من المواد الغذية كاللحم والدهن والسكر . ولكن هذه الطريقة غير كافية كما اثبت الاختبار اذ لا بدَّ ايضاً ان يحسب حساب مواد اخرى لا غنى للانسان عنها في طعامه اطلقوا عليها اسم الڤيتامين اي المواد الحيوية . وقد اكتشفت هذه المواد عند درس بعض الامراض وخصوصاً مرض « البري بري » وهو مرض شائع بين الاقوام الذين اعتمادهم في طعامهم على الرز اذا اكلوا الرز المبيَّض والخبز الابيض . واول اعراضه فقد القابلية ثم الضعف المتزايد والاسهال والمزال . ويلي هذه الاعراض اعراض شلل وضمور في عضلات الجسم يبدآن بالاطراف السفلى وتضخم جانب القلب الايمن وعسر التنفس وزرقة الجلد وقلة البول ثم الموت بعد بضعة اسابيع او اشهر

وهذا الداء ليس مُعدياً ولا ترافقهُ حمّى بل هو خلل مزمن يطرأ على وظيفة التغذية في الجسم وسببهُ اقتصار المصاب به على تناول الطعام الخالي من هذا الڤيتامين . فاذا اكل طعاماً محلّى بهِ على كثير منهُ كالخضر الطرية والاثمار الخضراء واللبن غير المطبوخ والبيض النيء واللحم النيء او المطبوخ قليلاً شفي من مرضه سريعاً . اطعم الدجاج والحمام خبزاً ابيض او رزّاً مقشوراً مبيضاً دون غيرهما تظهر عليها اعراض هذا المرض لا محالة فتموت ما لم تضف الخالة (الوصفة) او القول او ما اشبه ذلك الى طعامها

واول ما ظهر داء البري بري كان في البلاد التي جلّ طعام اهلها الرز ولكنهُ لم يظهر الاَّ بعد ما جعل اهل تلك البلاد يبيّضون رزهم لازالة اللون الاحمر منهُ ويصقلونهُ ليلوح ابيض لامعاً . وكذلك ظهر في اوربا حيث اتخذ الناس الخبز الابيض المصنوع من الدقيق المقطف بدلاً من الخبز الاسمر المصنوع من دقيق الحنطة وغلافهِ الداخلية ذلك لان الڤيتامين والبروتيد والدهن والاملاح المغذية التي في الحبوب موجودة في الطبقة الخارجية التي تحت القشرة الخلوية فاذا ازيلت هذه القشرة والطبقة التي تحتها لم يبقَ في الحبوب شيء من المواد الحيوية المذكورة

وفي جنوب ايطاليا وشمال افريقية مرض آخر يشبه البلاغرا ويسمى لاثيرزم وسببهُ الاقتصار على تناول الفول او الفاصوليا الفاسدة ويشفى باكل الاثمار والخضر الطرية واللبن الجديد الخ

مشهور فانبرى لانتقاد كتابهِ السرهري جونستون الرحالة الانكليزي وهو كاتب مشهور ايضاً . فبعد ان خلص الكتاب انتقدهُ كما عنّ لهُ غير هيّاب واكتفى بعبارات موجزة معتدلة في بيان محاسنهِ . وقد نشر هذا الانتقاد في مجلة « نايشر » الانكليزية وهي من اوثق المجلات العلمية . ونؤكد من الآن ان المستر روزفلت لا يرد على ذلك الانتقاد اذا كان وجيهاً . وان ردّ بشيء فليشكر المنتقد على خطإٍ ابانهُ او زلة ارشد اليها

كنا نطالع باب التقريظ والانتقاد في بعض اعداد المجلة المذكورة فرأيناها تكتب عن كتاب اهدي اليها عنوانهُ « حرب السموم » ومؤلفهُ فرنسوي اسمهُ رو برتس . قالت في انتقادها اياهُ :

« ان المسيو رو برتس وقد وُصف بانهُ عضو في الجمعية الكيماوية الفرنسوية وفي جمعية الصناعة الكيماوية اخرج للناس كتاباً لا ينكر احد من الملمين بالكيمياء نفاستهُ بالغريب » ثم استشهدت على صحة قولها بعبارات واردة فيهِ يعرف كل ملمّ بالكيمياء والصناعة الكيماوية انها غير صحيحة منها قولها « جاء في الصفحة ٩٩ من الكتاب ان مستخدم صيدلية اكل اوقيتين من النتروغليسرين توهم انهُ شوكولاته فلم يصب بضرر » . ومعلوم ان النتروغليسرين مادة مضرة جداً ومنهُ تصنع المواد المفرقعة . ثم تناولنا العدد التالي من تلك المجلة فوجدنا فيهِ رسالة من كاتب انكليزي يقول فيها : « ان الكاتب الفرنسوي اقتبس حكاية تلك الحادثة من مؤلف كيماوي لي ولكن اقتباسهُ جاء ممسوخاً مبتوراً . فقد جاء في كتابي ان مستخدماً في صيدليتي اكل قطعة شوكولاته فيها نتروغليسرين وثقل القطعة كلها اوقيتان فاصيب بصداع وفتي شفي منهُ في اليوم التالي . ونسبة النتروغليسرين الى الشوكولاته فيها نسبة قمحة الى ٢٥٠ قمحة . فكلّ ما ابتلعهُ منهُ $\frac{1}{250}$ قمحة . واشحوا لي بان اضيف ان المستخدم المشار اليهِ التالي فلما ابتلع القطعة جعل يصيح بالانكليزية وبرطانة الالمان المعهودة يا الهي انا مائت انا مائت . ولكنهُ لم يمت حينئذٍ والمرجح انهُ مات الآن من النتروغليسرين مستعملاً بطريقة اخرى » . يشير بذلك الى امكان موته في ساحة الحرب بقنبلة مصنوعة من النتروغليسرين)

وقد تلقت المجلة على هذه الرسالة مبينة عظم الفرق بين الروايتين

هذا مثال من اسلوب حب القوم للانتقاد . فتى بلغنا مبلغهم من تحري الصدق في الرواية والسير في اثر الحقيقة حيثما كانت وطلب العلم ولو في الصين فحينئذٍ نطمع في حب الانتقاد وكره التقريظ مثلهم اذا وضعا في غير موضعهما

طرائف من ادب العرب

تمهيد

كثيراً ما تسمع طالبي الادب العربي يسألون عن احسن كتاب او كاتب فيهِ . وقد قرأت مثل هذا السؤال غير مرة في مجلاتنا ورأيت المجلات الاوربية تطرق هذا الباب ايضاً فتستفتي قراءها في افضل الكتّاب والكتب في لغتهم فيفتيها كلٌّ في الكاتب او الكتاب الذي يفضلهُ على غيرهِ في ذوقهِ مبيناً اسباب التفضيل

ولما كان جمهور قراء المجلات في الشرق ممن لا يمكّنهُ حالهُ او وقتهُ او اسباب اخرى من درس كتب الادب العربي لمعرفة فاضلها من مفضولها فيختار الاول ويرجع اليهِ لفائدة او لفكاهة رأيت ان انشر سلسلة مقالات ألخّص فيها بعض كتب الادب العربي . فانقل شيئاً من محاسنها وطرائفها واعلّق عليهِ بما يخطر لي . وسأبدأ بكتاب الكشكول لا لانهُ مقدم على غيرهِ في نظري — والواقع انهُ ليس كذلك — بل لان خاطر التلخيص والتعليق خطر لي وانا اقلّب هذا الكتاب بين يدي واقرأ سطورهُ فانحول من الاستحسان الى الاستهجان ومن الاستحلاء الى الاستمرار باقل من لمح البصر . على ان قراءة هذا التلخيص لا يذالون ما ذقت من خلّ كتب الادب العربي مع خمرها لاني عزمت ان ادير عليهم خمر الادب دون خلّهِ فيشربوها صرفاً سائغة ويكفروا حمض الخلّ . و يا ليتني كفيتهُ انا

وقد أردف هذه الطرائف بمثلها من الادب الغربي ليقابل القارئ بين الاديبين

الكشكول

قيل في اول الكتاب انهُ « خاتمة الادباء وكعبة الظرفاء محمد بهاء الدين العاملي » . وقال المؤلف بعد البسملة انهُ لما فرغ من كتابهِ المسمّى « المخلاة » لفق كتاباً ثانياً على نسقهِ وسماهُ « بالكشكول » . اما المخلاة فلم اقف عليها والاّ لكنت قدمتها على الكشكول في تفكهة القراء بها لتقدمها عليهِ في الزمان

ولد صاحب الكشكول في بعلبك من اعمال الشام في آخر سنة ٩٥٣ هجرية ، او اواسط القرن السادس عشر للمسيح) وانتقل بهِ ابوهُ الى بلاد فارس حيث تلقى العلم وولي مشيخة الاسلام . ثم حجّ البيت وزار المقام في المدينة وساح ثلاثين سنة وعاد الى فارس ولهُ اكثر من عشرين حاشية وتفسيراً وشرحاً ومؤلفاً في مقاصد شتى من دينية ولغوية وفلكية ورياضية . اما كتابهُ الكشكول فالّفهُ عند زيارته لمصر ولعل ذلك سبب ما حواهُ

من النكات والطُّرَف . وكان يجتمع مدة اقامته بمصر بالاستاذ محمد بن ابي الحسن البكري . ومما زار من المدن المشهورة القدس الشريف ودمشق الشام وحلب الشهباء . وكان يعرف باسم المتلألئ بهاء الدين . وتوفي سنة ٦٣١ هجرية في اصبهان من مدن ايران . وغنيٌّ عن البيان انهُ كان شيعيًّا (١)

وقد عنيت بان لا انقل من الكتاب الاَّ ما لم ارهُ في كتب الادب الحديثة التي خلصت من كتب الادب العربي . واذا كان هناك رواية او حكاية طويلة اختصرتها محافظًا على لغة صاحبها . وساورد ما انقلهُ بين علامات الاقتباس . وفي حال التعليق اتركهُ مطلقًا غير محصور بينها . ولا بدَّ من القول ان صاحب الكشكول ليس من الكتَّاب المبرزين ولغة كتابهِ ركيكة حيث يكون منشئًا بليغة حيث يكون مقتبسًا من اعاظم الكتبة . ولا يذكرهُ « المستشرقون » من اهل الغرب فيما يكتبون عن كتَّاب العرب

عابد لبناني

« روي انهُ كان في جبل لبنان رجل من العباد منزويًا (٢) (كذا) عن الناس في غار في ذلك الجبل . وكان يصوم النهار ويأتيهِ كل ليلة رغيف ينظر على نصفهِ ويتسحَّر بالنصف الآخر . فاتفق ان انقطع عنهُ الرغيف ليلة من الليالي فاشتدَّ جوعهُ وبات تلك الليلة في انتظار شيء يدفع بهِ الجوع فلم يتيسر لهُ شيء . وكان في اسفل ذلك الجبل قرية سكانها نصارى . فعندما اصبح العابد نزل اليهم واستطعم شيئًا منهم فاعطاهُ رغيفين من خبز الشعير فاخذهما وتوجه الى الجبل . وكان في دار ذلك الشيخ النصراني كلب جريبٌ مهزول فطرق العابد وتج عليهِ فألقى اليهِ رغيفًا ليشتغل بهِ عنهُ فاكلهُ ولحقهُ تارة اخرى فالقى اليهِ الرغيف الآخر فاكلهُ ولحقهُ واشتد هريرهُ فقال العابد سبحان الله اني لم ارَ كلبًا اقل حياء منك . ان صاحبك لم يعطني الاَّ رغيفين وقد اخذتهما مني . ماذا تطلب بهريرك . فانطق الله تعالى ذلك الكلب : لست انا قليل الحياء . اعلم اني ربيت في دار ذلك النصراني احرس غنمهُ واحفظ دارهُ واقنع بما يدفعهُ لي من عظام او خبز . وربما تسيبني فابقى اياماً لا آكل شيأً (٣) بل ربما يمضي علينا ايام لا يجد هو لنفسهِ شيئًا ولا لي ومع ذلك لم افارق دارهُ منذ عرفت

(١) وعلى ذكر الشيعة اقول انهم يحسنون في الشام معاملة جميع متوالي . ذلك بانهم تولوا عليًا واهل بيتهِ كما جاء في محيط المحيط (٢) نصبها على انها خبر كان المحذوفة وحقها ان ترفع على التبعية لانها صفة او نعت لرجل . ورجل فاعل لكان وهي هنا تامة بمعنى وجد (٣) كتبا طبعت في الكتاب كلهِ بوضع الميزة على الالف

تعني ولا توجهت الى باب غيره بل شكرت والاَّ صبرت . واما انت فبانقطاع الرغيف عنك ليلة واحدة لم يكن عندك صبر حتى توجهت من باب رازق العباد الى باب نصراني فايُّنا اقل حياء انا ام انت . فلما سمع العابد ذلك ضرب يديهِ على رأسهِ وخرَّ مغشيًّا عليهِ »

والقصة موضوعة ولكن مغزاها حسن

بَرَدٌ كبير ومطر حجارة

« ذكر في الكامل في حوادث سنة ٢٨٥ انهُ حدث بالبصرة ريح صفراء ثم خضراء ثم سوداء ثم تتابعت الامطار وسقط بَرَدٌ وزن كل واحدة مائة وخمسون درهمًا . وفي هذه السنة حدث بالكوفة ريح صفراء وبقيت الى المغرب ثم اسودت ثم حصل مطر عظيم ومطرت قرية من نواحي الكوفة تسمَّى احمد اباد حجارة سوداء وبيضاء في اوساطها طين[1] وحمل منها الى بغداد فرآتهُ الناس وتعجبوا من ذلك غاية العجب »

والخبر من تاريخ الكامل لابن الاثير ولسنا نعلم ان في نواحي الكوفة قرية تسمى احمد اباد وكل ما نعلم ان هناك مكانين بهذا الاسم احدهما « قرية من قرى ريوند من نواحي نيسابور والاخرى قرية من قرى قزوين على ثلاثة فراسخ منها » كما جاء في معجم البلدان لياقوت الحموي على ان احمد اباد الهندية مدينة كبيرة سكانها نحو ٢٠٠ الف نسمة وهي عاصمة مقاطعة بهذا الاسم ايضًا . ولم يذكر ياقوت هذه المدينة لانها بنيت بعد زمانهِ بنحو قرنين . فان ياقوت عاش في النصف الاخير من القرن الثاني عشر واوائل الثالث عشر للمسيح ومدينة احمد اباد الهندية اسست في اوائل القرن الخامس عشر ومؤسسها احمد شاه الهندي وقد سميت هي ومقاطعتها باسمهِ

اما البَرَد الكبير ومطر الحجارة فمن الظواهر الطبيعية الكثيرة الحدوث حتى لقد ذكروا مطرًا من السمك وآخر من البرتقال وآخر من الموز . وسببها ان الاعاصير تجتاح اليابسة فتحمل ما في طريقها وترفعهُ الى اعالي الجوّ ثم يهبط بقوة الجاذبية متى خفت قوة الاعاصير فان كان حملها حجارة مطرت حجارة او فاكهة مطرت فاكهة او غير ذلك مطرت غير ذلك

القيصة الغيبة

قال من كتاب « روينا عن سيد البشر والشفيع المشفع في المحشر انهُ قال : يجاء بالعبد يوم القيامة فتوضع حسناتهُ في كفة وسيآتهُ في كفة . فتجيء بطاقة فتقع في كفة الحسنات فترجح بها فيقول يا ربِّ ما هذه البطاقة فما من عمل عملتهُ في ليلي ونهاري الاَّ استقبلت بهِ . فيقول عزَّ وجلَّ هذا ما قيل فيك وانت منهُ بريٌّ »

---

(١) طمست كلمة « طين » في الكامل « طبق » وهذا خطأ

وهذا اجمل ما يمثل ان الغيبة لا تضرُّ من يغتاب بل تنفعهُ . وقد سماها الانكليز (backbiting) اي عضّ الظهر ونهشهُ

أكحلٌ هو التلسكوب ام اشعة اكس ؟

« حكى الامام فخر الدين الرازي في اول السرّ المكتوم قال : قال ثابت بن قرة ذكر بعض الحكماء كحلاً يقوي البصر الى حيث يرى ما بعُد عنهُ كأنهُ بين يديهِ . قال وفسلهُ بعض اهل بابل فحكى انهُ رأى جميع الكواكب الثابتة والسيارة في موضعها . وكان ينفذ بصرهُ في الاجسام الكثيفة فكان يرى ما وراءها . فاتفقتهُ انا رقسطا بن لوقا ودخلنا بيتاً وكتبنا كتاباً يقرؤهُ علينا و يعرفنا اول كل سطر وآخرهُ كأنهُ معنا وكنا نأخذ القرطاس ونكتب و بيننا جدار وثيق فاخذ هو قرطاساً ونسخ ما كنا نكتبهُ كأنهُ ينظر فيما نكتبهُ »

اقول والشطر الاول من القصة يشبه ان يكون هذا الكحل كناية عن التلسكوب وان التلسكوب كان معروفاً في عهد ثابت بن قرة اي في اوائل القرن العاشر لليلاد ولو لم يشتهر وجودهُ قبل اول القرن السابع عشر لليلاد . فقد ذكر ديموقريطس اعظم فلاسفة اليونان الطبيعيين ان المجرة مؤلفة من نجوم صغيرة لا تعداد لها . ولما كان هذا الفيلسوف قد عاش في القرن الخامس قبل الميلاد على ما يرجحون فقد استدل البعض من قولهِ على ان التلسكوب كان معروفاً في زمانهِ . ولكن تعين من قول ابن قرة ان هذا الكحل مكّن بعض اهل بابل من ان ينفذ بصرهُ في الاجسام الكثيفة ويرى ما وراءها انهُ ليس بالتلسكوب لما هو معروف من ان التلسكوب لا يخترق الاجسام الكثيفة

فما هو اذاً ؟ فهل كانت اشعة اكس معروفة وكانوا يرون بها من خلال الاجسام الظليلة

بقي هناك ثلاثة فروض الواحد ان ثابت بن قرة افتأت الكذب متعمداً ولكني استبعد افتئات فيلسوف مثلهِ « هذب كتاب المجسطي الذي عربهُ حنين بن اسحق العبادي ونقحهُ واوضح منهُ ما كان مستعجماً وكان من اعيان عصرهِ في الفضائل » كما قال ابن خلكان والفرض الثاني انهُ كان مخدوعاً وليس ذلك ببعيد فان المشعوذين في هذا العصر تمكنوا من خدع اكبر العلماء في فرنسا وانكلترا . والثالث ان المسئلة من قبيل قراءة الافكار المشهورة في هذا الزمان . وقد وضعت مرة في يدي شيئاً فحزرهُ قارىء الافكار . وما وقع لي وقع لالوف غيري . ولعل هذا ما وقع لثابت بن قرة في زمانهِ

الفراسة

« نظر اياس بن معاوية يوماً الى رجل غريب لم يرهُ قط فقال هذا غريب واسطي

معلم كتّاب عرب له غلام اسود . فوُجد الامر كما ذكر . فقيل لهُ من اين علمت ذلك فقال رأيتهُ يمشي ويلتفت فعلمت انهُ غريب . ورأيت على ثوبهِ حمرة تراب واسط . ورأيتهُ يمرّ بالصبيان فيسلم عليهم ويدع الرجال . واذا مرّ بذي هيئة لم يلتفت اليهِ واذا مرّ باسود دنا منهُ يتأملهُ . يقال اصدق الناس فراسة ثلاثة العزيز في قولهِ لامرأتهِ عن يوسف اكرمي مثواهُ عسى ان ينفعنا . وابنة شعيب[1] التي قالت لابيها عن موسى يا أبتِ استأجرهُ ان خيرَ من استأجرت القوي الامين . وابو بكر في الوصية بخلافة عُمَر»

والقاضي اياس هذا هو ابن معاوية المعدود آية في الذكاء والفطنة حتى ضرب بهِ المثل فيهما . قال ابو تمام في العباس بن المامون

اقدام عمرٍ في سماحة حاتمٍ في حزمِ[2] احنف في ذكاء اياس

ولد في اواسط القرن الاول للهجرة وتوفي اوائل الثاني

وواسط بلَد بالعراق اختطهُ الحجاج في سنتين اي رسم بناءهُ . ومنهُ المثل تعاقلْ كأنك واسطيٌّ لانهُ كان يشتجر في البناء فيهربون ويناموا بين الغرباء في المسجد فيجيءُ الشرطيُّ ويقول يا واسطيُّ فمن رفع رأسهُ اخذهُ . فلذلك كانوا يتغافلون ويتناومون

والفراسة هذه هي ما يسميهِ الانكليز observation اوطريقة زادج . وزادج هذا رجل لا يعرف هل هو حقيقي او وهميّ فهو بذلك مثل هرقل فارس اليونان وعنترة فارس العرب قبل الاسلام ولكن قيل عنهُ انهُ عاش في بابل في عهد الملك موابدار . والملك موابدار هذا لا يعرف علماء التاريخ ولا علماء الآثار والماديات شيئاً عنهُ ولا قرأوا اسمهُ في قائمة ملوك بابل الذين نقشت اسماؤهم على الآثار المكتشفة . وقد اطال فولتير في ترجمتهِ ولكن التدقيق التاريخي ليس من صفات فولتير كما قال هكسلي في مقالة لهُ عن طريقة زادج (On the method of Zadig.)

اما الفراسة الاخرى وهي الحكم على صفات المرء واخلاقهِ من التفرّس في ملامحهِ فهي ما يسمّى بالانكليزية phrenology اي علم العقل من فرينوس باليونانية ومعناها الدماغ او العقل ولوغوس ومعناها كلام او علم . وهناك فرع آخر من الفراسة وهو الاستدلال على الاخلاق من درس اسارير الكفين

---

(١) هو موسى الكليم واسمهُ في التوراة يثرون وكان كاهن مديان

(٢) وكذلك ضرب المثل في الحلم بعمر بن زائدة

بين هرقل ومعاوية

« يحكى ان هرقل ملك الروم كتب الى معاوية بن ابي سفيان يسألهُ عن الشيء واللاشيء · وعن دين لا يقبل الله غيرهُ · وعن مفتاح الصلاة · وعن غراس الجنة · وعن صلاة كل شيء · وعن اربعة فيهم الروح ولم يرتكضوا في اصلاب الرجال ولا ارحام النساء · وعن رجل لا اب لهُ · وعن رجل لا قوم لهُ · وعن قبر جرى بصاحبهِ · وعن قوس قزح ما هو · وعن بقعة طلعت عليها الشمس مرة واحدة ولم تطلع عليها سابقاً ولا لاحقاً · وعن ظاعن ظعن مرة ولم يظعن قبلها ولا بعدها · وعن شجرة نبتت من غير ماء · وعن شيء يتنفس ولا روح لهُ · وعن اليوم وامس وغد وبعد غد · وعن البرق والرعد وصوته وعن المحو[1] الذي في القمر » (انتهت ملخصة)

« فقيل لمعاوية لست هناك[2] · ومتى اخطأت في شيء من ذلك نسقط من عينهِ فاكتب الى ابن عباس[3] يخبرك عن هذه المسائل · فكتب اليهِ فاجابهُ بقولهِ : اما الشيء قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي · واما قولهُ لا شيء فانها الدنيا لانها تبيد وتفنى · واما دين لا يقبل الله غيرهُ فلا اله الاَّ الله محمد رسول الله · واما مفتاح الصلاة فالله اكبر · واما غراس الجنة فلا حول ولا قوة الاَّ بالله العلي العظيم · واما صلاة كل شيء فسبحان الله وبحمدهِ · واما الاربعة فآدم وحواء وعصا موسى والكبش الذي فدي بهِ اسحق · واما الرجل الذي لا قوم لهُ فآدم · واما القبر الذي جرى بصاحبهِ فالحوت مار يونس (يونان) في البحر · واما قوس قزح فامان الله تعالى لعبادهِ من الغرق · واما البقعة التي طلعت عليها الشمس مرة واحدة فالبحر الذي انفلق لبني اسرائيل · واما الظاعن فجبل طور سيناء كان بينهُ وبين الارض المقدسة اربع ليالٍ فلما عصت بنو اسرائيل اطارهُ الله بجناحيهِ فنادى منادٍ ان قبائح التوراة كشفتهُ عنكم والاَّ القيتهُ عليكم · فاخذوا التوراة ممتذرين فردهُ الله تعالى الى موضعهِ · واما الشجرة فشجرة اليقطين التي انبتها الله تعالى على يونس · واما الذي ينفس ولا روح لهُ فالصبح · واما اليوم فعمل · واما امس فمثل · واما غد فاجل · واما بعد

---

(١) السواد (٢) اي لست اهلاً للسؤال قال ابن مسعود انا علمنا حين لسنا نسأل ولسنا هنالك اي نست اهلاً للسؤال (٣) هو عبدالله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم وهو جدّ السفاح والمنصور الخليفتين · قال ابن خلكان « كان سيدًا شريفًا جليلًا وكان اجل قرشي على وجه الارض واوسعهم واكثرهم صلاة » · وكان يقال له حبر الامة والبحر لكثرة علمه · وعاش بعد ابن مسعود نحو ٣٥ سنة وبعد عمر بن الخطاب نحو ٤٧ سنة بقصد ويستفتى ويعتمد

غير فاعل . واما البرق فمخاريق[1] بايدي الملائكة تضرب بها السحاب . واما الرعد فاسم الملك الذي يسوق السحاب وصوته زجره . واما المحو الذي في القمر فقول الله عزّ وجلّ وجعلنا النهار والليل آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة . ولولا ذلك المحو لم يعرف الليل من النهار ولا النهار من الليل »

وجاء في رواية اخرى لهذه الحادثة ما يأتي[2] :

« ومما يحكى عن فطنة ابن عباس إن ملك الروم كتب الى معاوية يسأله عن افضل الكلام ما هو . وعن الثاني والثالث والرابع والخامس . وعن اكرم خلق الله . وعن اكرم الاماء على الله . وعن اربعة من الخلق فيهم الروح لم يرتكضوا في رحم . وعن قبر مشى بصاحبه . وعن المجرة والقوس . وعن مكان طلعت فيه الشمس مرة في الزمان . فلما قرأ معاوية الكتاب قال اخزاهُ الله وما علمي بما هنا . فقيل لهُ اكتب الى ابن عباس فكتب اليهِ بذلك فكتب اليهِ ابن عباس ان افضل الكلام لا اله الاَّ الله كلمة الاخلاص لا يقبل عمل الاَّ بها . والثاني تليها سبحان الله وبحمده صلاة الخلق . والثالث تليها الحمد لله كلمة الشكر . والرابع تليها الله اكبر . والخامس لا حول ولا قوة الاَّ بالله . واما اكرم الخلق على الله عزّ وجلّ فآدم خلقهُ الله بيدهِ وعلّمهُ الاسماء كلها . واما اكرم إماتهِ عليهِ فهي مريم التي أحصنت فنفخ فيها الروح . واما الاربعة الذين لم يرتكضوا في الرحم فآدم وحواء وناقة صالح والكبش الذي فدي بهِ اسماعيل (او اسحاق) وقيل عصا موسى حين القاها فصارت ثعباناً . واما القبر الذي مشى بصاحبهِ فهو حوت يونس . واما المجرة فباب السماء . واما القوس فانهُ امان لاهل الارض بعد قوم نوح . واما الذي طلعت فيهِ الشمس مرة فهو البحر الاحمر حين شقهُ الله لبني اسرائيل . فلما وصل الكتاب الى ملك الروم قال لا علم لمعاوية بهذا وما اصابهُ الاَّ رجل من بيت النبوة » انتهى

اقول اما تعليل الحوادث الطبيعية المذكورة آنفاً فلا يخفى على قراء المقتطف

(نقيب)

---

(١) المخاريق جمع مخراق وهو منديل يلف فيتلاعب الصبيان به ويتضاربون بهِ في مصر خرقة وفي الشام مقرعة او لفرعة في اللغة السوط وكل ما قرعت به . قال ابن كلثوم من معلقته

كأن سيوفنا منا ومنهم مخاريق بايدي لاعبينا

(٢) ذكرت في دائرة المعارف العربية للبستاني

الشيخوخة وامالها حيوية

نقلاً عن العلامة متشنيكوف

(٦) الموت الطبيعي

الموت الطبيعي نادر جداً في الانسان وما يحسب طبيعياً من موت الشيوخ يرجع اكثرهُ الى اسباب مرضية وخصوصاً الى ذات الرئة التي تخفي اعراضها فيهم او تكون قليلة الوضوح او الى السكتة الدماغية

والموت الطبيعي كما وصفهُ دماغج هو انهُ « متى وصل الشيخ الى اقصى الشيخوخة وانطفأ ما بقي فيهِ من نور العقل اخذ يشعر بضعف يتولاهُ ويزيد فيهِ يوماً فيوماً وضعفت ارادتهُ وفقدت سلطتها على الاعضاء الخاضعة لها وجف جلدهُ وبرد وقلت حساسيتهُ وبردت اطرافهُ ومزل وجههُ وغارت عيناهُ واضطرب بصرهُ وصار التلفظ يقف عند شفتيهِ فتبقيان مفتوحتين والحياة تفارقهُ من المحيط الى المركز فيضطرب التنفس واخيراً يقف نبضان القلب وتنطفئ حياة الشيخ بسكينة كأنهُ نام النوم الاخير وهذا هو بالحقيقة الموت الطبيعي »

وقد فندنا في ما سبق بيانهُ في شرح طول العمر ما ذهب اليهِ البعض من اسباب قصر حياة الانسان كالتناسل وخلافهِ واوضحنا ان سببهُ يرجع الى التسمم الذاتي ونرجح ان الموت الطبيعي يحصل من هذا التسمم استناداً الى ما بينهُ وبين النوم من المشابهة

ظهر الراي بالتسمم الذاتي منذ خمسين سنة وقال بهِ وأيدهُ كثيرون من جلة العلماء فذهب بعضهم الى ان النوم يحصل من تجمع حاصلات الانحلال في الدماغ وهذه الحاصلات تسلب من الدم وقت الراحة وظن كثيرون ان حامضاً يتخزن اثناء عمل الاعضاء ويزيد الى حد لا يعود باستطاعة الجسم احتمالهُ فيتخلص منهُ بالنوم

وانعم بعضهم درس هذا الموضوع وارتأى ان عمل الاعضاء يولد مواد سماها بروتوجين Pronogènes تجلب الشعور بالنوم وقال انها تجمع باليقظة وتحل بالنوم بواسطة التأكسد وان الحامض البنيك اهمها عملاً استناداً الى ان هذا الحامض يساعد على النوم. فاذا صحت هذه النظرية صحت المشابهة بين التسمم الذاتي بالحامض البنيك في الانسان والحيوانات التي تميل تأثيرهُ فيها الى النوم وبين المكروبات التي تولدهُ ويتوقف فعلها الاختياري بعد تكاثرهِ. ولهذا فكما ان توقف الاختمار البني قد يسبب موت المكروبات التي تولد الحامض

فالنوم قد يتحول كذلك الى موت طبيعي على انهُ لم يظهر الى الآن ما يؤيد هذه النظرية وارتأى آخر ان النوم لا يحصل من تولد الحامض الثبنيك بل من بعض المواد القلوية التي سماها غوتيه فركومايين Locomaines واتضح انها تؤثر في المراكز العصبية وتحدث تعباً ونوماً فاذا كثرت في الجسم جلبت النوم ضرورةً وعليهِ يكون العمل المنوم للمواد البروتوجونية فعلاً مباشراً اي انهُ يسمم المراكز العصبية وبعد النوم تفرز تلك المواد من الجسم ويزول الاضطراب الذي حصل فيهِ

اذا صدقت هذه النظرية ثبتت المشابهة بين النوم والموت الطبيعي من جهة وبين توقف النمو وموت الخمير الذي يستنبت في الاوساط الازوتية من جهة اخرى لان موت الخمير ينتج عن التسمم بقلوي وهو الامونياك الا ان معارفنا الحالية لا تساعدنا على تعيين عمل التسمم النومي الخاص ومعارفنا عن الفوكومايين لا تزال قاصرة ومع ذلك فقد درسوا في السنين الاخيرة واحداً منها وهو الادرنالين الذي يستخرج من المحفظتين فوق الكليتين وهو شبه قلوي يفرز من الكليتين ويسير في الدورة الدموية ولهُ خاصة قوية على قبض الشرايين ولهذا استعمل لتوقيف الانزفة الدموية واذا استعمل بكمية كبيرة اوبجرعات متكررة فعل فعل سم حقيقي واما بالجرعات الصغيرة فيحدث انيميا (فقر دم) الاعضاء ويفعل فعلاً خاصاً في المراكز العصبية واثبت بعضهم انهُ اذا حقن ميليغرام منهُ ممزوج بخمسة كرامات من محلول ملح البحر الفيسيولوجي (٧ : ١٠٠٠) بجوار دماغ القطط فعل فيها فعلاً منوماً اذ تنام بعد دخوله بدقيقة وتبقى مستغرقة في النوم ٣٠ — ٥٠ دقيقة وتفقد الحساسة كل هذه المدة من سطح الجسم كلهِ وبعد ان تستفيق تبقى الحساسة ناقصة وتظهر كأنها سكرانة وتبقى كذلك مدة وبما ان النوم يرافقهُ انيميا الدماغ والادرنالين يفعل فيهِ هذا الفعل فيجوز ان يكون من جملة المولدات التي تتولد من عمل الاعضاء وتجلب النوم وان يكون اهمها فعلاً وربما يناقض هذه النظرية ما ظهر من الابحاث الجديدة عن التعب واسبابهِ

كلما تقدم العلم مرحلة في درس مسئلة النوم المعقدة كان يعقب هذا التقدم رجوع الى الوراء فعندما كانوا ينسبون لاشباه القلويات (البتومايين) اهمية كبيرة في الامراض العقلية كانوا يحاولون ان يجعلوا النوم مقصوراً على تأثير المواد الماثلة لها واما الآن وقد ثبت ان السموم ذات التراكيب الكيماوية المركبة هي التي لها الفعل المهم في هذه الامراض فهم يحاولون ان يعللوا التعب والنوم بتأثير المواد الماثلة لها

سار عالم على هذه الطريقة واجتذبت ابحاثهُ انظار العلماء فاثبت انهُ في اثناء قضاء الاعضاء لوظائفها تجمع مواد خصوصية ليست حوامض عضوية ولا انواع لوكومابين بل مولدات مكروبية سامَّة واتمحن ذلك في معملهِ فاخذ حيوانات واتعبها بالحركات العنيفة عدة ساعات حتى اعيت ثم ذبحها واستخرج خلاصة من عضلاتها وحقن بها حيوانات سليمة فنتجت فيها فعلاً سامًّا جدًّا اذ ظهر عليها الوناء الزائد وماتت بعد ٣٠ — ٤٠ ساعة . ومن اهم خصائص تلك الخلاصة انها اذا ادخلت الى الدورة الدموية في الحيوانات السليمة بكمية لا تكفي لقتلها فعلت فعلاً مضادًّا للسم فهي كسم الدفتيريا الذي يتولد منهُ ضد لهُ واثباتاً لذلك حقن مزيجًا من السم الذي يحدث التعب مع كمية صغيرة من المصل المضاد لهُ فلم يظهر في الحيوانات المحقونة اقل اضطراب وحصلت هذه النتيجة ايضاً باعطاء المصل المضاد للسم من الفم . ولهذا يقول صاحب هذا الاكتشاف ان هذه الامتحانات قد توصل بنا الى مصل يمنع التعب

وان تعذر علينا الآن ان نتحقق طبيعة المواد التي تحصل بعد قضاء الوظائف ومنها ينتج التعب والنوم فقد زاد الامل بوجود هذه المواد ويكون النوم يرجع حقيقة الى نوع من التسمم الذاتي . ولم يقم الى الآن برهان ينقض هذه القضية ما خلا بعض الاعتراضات الضعيفة التي عارض بها احد علماء الفيسيولوجيا كنوم الاطفال الطويل وارق اصحاب النيوراستينا اما النوم الطويل فيرجع الى ان الطفل تتأثر اعصابهُ بسهولة ويؤثر فيهِ اقل شيء من العوامل المضرة . واما الارق فلان اصحاب النيوراستينا يخسرون قسمًا من حساسة العناصر العصبية واعصابهم تتعب بسهولة

ثم اننا نرى كثيراً من الحوادث المرضية التي تتفق مع نظرية التسمم الذاتي اتفاقاً تامًّا واهم شاهد على ذلك مرض النوم الذي ثبت انهُ يحصل من عمل حيوان مكروسكوبي يعرف باسم التريبانوزوم Tripanosome Gambieuse الذي ينمو في الدم وينتشر في سوائل الغلافات التي تحيط بالمراكز العصبية واخص اعراضهِ تماس يزيد على التراتر ونوم متواصل وفي بداءة المرض يسهل تنبيه المريض من هذا النعاس ثم تتغلب عليهِ نوب النوم وتدهمهُ في كل احوالهِ ولاسيما بعد الاكل ثم تزيد النوب طولاً واستغراقاً وتنتهي الى حالة غيبوبة لا يعود في الامكان ايقاظ المريض منها الاَّ بصعوبة . والاكتشافات الطبية لم تبقِ مجالاً للريب في ان هذا النوم مسبب عن التسمم بسم التريبانوزوم

ارتأى كلاپارِيد الفيسيولوجي من جنيف « ان النوم ظاهرة غريزية تتوقف الوظائف بها عن العمل وان الانسان لا ينام بسبب التسمم او الاعياء بل ينام منعاً لهما » وقال « ان النوم ظاهرة قوية تحصل بعد ان تجمع في الجسم الحواصل الصادرة من عمل الوظائف » ومعنى ذلك ان النوم تجلبهُ نفايات العمل الوظيفي بعد ان تتأثر المراكز العصبية بها وهو نوع من التسمم فالرأيان يتفقان في المبدإ ويختلفان في تفسير المسئلة بالنظر اليها من وجهين مختلفين

والمشابهة بين النوم والموت الطبيعي تجيز لنا ان نفرض ان الموت الطبيعي يحصل ايضاً من تسمم ذاتي اقوى من التسمم الذي يجلب النوم . وبما اننا لم نراقب الموت الطبيعي في الانسان الاَّ مراقبة ناقصة فلا نستطيع ان نضع لهُ صيغة غير الصيغة الفرضية فكما انهُ يظهر في النوم ميل غريزي الى الراحة يظهر كذلك في الموت الطبيعي ميل الى الموت وقد شرحنا هذه المسئلة في كتابنا « دروس في الطبيعة الانسانية » ولا نرى لزوماً للرجوع اليهِ هنا فنقتصر على ايراد بعض المعلومات الحديثة التي امكننا ان نجمعها في المدة الاخيرة

ذكر بريليان ساڤارين في كتابهِ فيسيولوجية الذوق الحادثة الآتية قال « كان لي عمة حفظت قواها العقلية الى آخر حياتها ولازمت السرير مدة طويلة ولم يشتكِ فيها من عيوب الشيخوخة سوى نقصان قابليتها وضعف صوتها ولما احتضرت كنت الى جانب سريرها احنُّ اليها واقوم بخدمتها واراقبها بعين الفيلسوف واراعي كل ما يحيط بي وبها فقالت لي بصوت منقطع هل انت هنا يا ابن اخي؟ اجبتها نعم يا عمتي وانا رهن امرك وارى من الموافق ان تأخذي قليلاً من الخمر المعتقة فقالت اعطنيهِ يا عزيزي لان السائل يهبط دائماً الى الاسفل فاجلستها بلطف وسقيتها نصف قدح من اجود الخمر التي عندي فانتعشت حالاً ثم حولت عينيها الجميلتين اليَّ وقالت شكراً لك على هذه الخدمة الاخيرة فاذا بلغت عمري عرفت ان الموت يصبح حاجة كالنوم تماماً . وهذه آخر كلمات تلفظت بها لانها نامت بعد نصف ساعة نوماً ابدياً » فهذا الشرح مثال يزيدنا تأكداً بوجود غريزة للموت الطبيعي وهذه الغريزة تظهر في من تحفظ قواهُ العقلية وقد تظهر في عمر اقصر من عمر الشيوخ المذكورة الاَّ ان الغالب ان لا تظهر الاَّ في الطاعنين كثيراً ويغلب ان تشتد رغبة الشيوخ في الحياة

ان المعروف والمتواتر من قديم الزمان ان الانسان يزيد تمسكاً بالحياة كلما طال عمرهُ وقد اورد شارل ريبوڤيه الفيلسوف الفرنساوي المتوفى من بضع سنوات برهاناً جديداً على

احصاء سكان مصر (١)

اعتادت كتب الاقتصاد السياسي ان تقسم عوامل الانتاج الى ثلاثة اقسام وهي الارض والعمل او العمال ورأس المال . وعندي ان في هذا التقسيم خطأ فالارض ورأس المال واحد والعمل اذا كان مقروناً بالمهارة والبراعة قد يكون تابعاً لرأس المال فلهذا ارى ان نقسم العوامل الى ثلاثة اقسام اخرى وهي المادة والقوة والعقل فالمادة الركن الذي تقام عليه الاعمال الاقتصادية والقوة هي العامل الذي يحول المادة الى الاشياء المطلوبة والعقل يوجد القوة المنظمة التي تدير العمل

وليس لنا شأن هنا في المادة . اما القوة فتكون صناعية اي بالآلات (ويدخل في هذا القسم قوة البهائم وسائر الحيوانات) او بشرية . والعقل بشري طبعاً فاساس الانتاج اذاً يرجع الى البشر . فاذا شئنا الوقوف على ما في امة من الموارد تعين علينا ان نحصي العامل الاكبر وهو القوة او العنصر البشري ونبويه وهذا معنى ما نسمع به كثيراً في هذه الايام عن تقدير قوة الرجال في كل شعب فان هذه القوة تتوقف على عدد الرجال وعلى مقدرتهم . فلا مناص لمعرفة المطلوب هنا الا باحصاء الشعب . ولا بد لمعرفة هذه القوة من الوقوف على جميع العوامل فيها كالسنان الافراد الذين يتألف الشعب منهم واعمالهم ومبلغهم من العلم ومساكنهم وغير ذلك من المعلومات التي يستعان بها على معرفة المطلوب

ثم ان بين الاقسام العظيمة التي نجدها في علم الاقتصاد السياسي قسم القطوعية او الاستهلاك وهذا يقتضي معرفة عدد السكان لامكان الوقوف على مقدار القطوعية او الاستهلاك

ولا بد من معرفة عدد السكان اذا شئنا التعمق في درس توزيع ما ينتجهُ العقل واليد وصفوة القول ان كل بحث في دائرة الانتاج او الاستهلاك او التوزيع المتعلق بالثروة يقتضي معرفة عدد السكان ومراتبهم . واني اضرب على ذلك مثالاً مما استخرجهُ قلم الاحصاء في السنوات الاخيرة

فقد حسبوا ان متوسط الوفيات في قسم شبرا وهو حيٌّ صحي على ما نعلم ٥٢ في الالف مع انهُ في قسم الازبكية ٣٣ في الالف . فهل هذا الفرق حقيقي واقع او هو ناشيء عن خطاء

(١) ملخص خطبة تلاها المستر كرايج مدير قلم الاحصاء على الجمعية السلطانية للاحصاء والتشريع والاقتصاد السياسي في ١٦ فبراير الماضي

في عدد سكان احد التعيين او كليهما. فاننا نعلم ان قسم شبرا اتسع اتساعاً عظيماً بعد الاحصاء الاخير وهذا يبعثنا على الظن بان الفرق الكبير في متوسط الوفيات نشأ عن هذا الاتساع ولكن تعيين ذلك بالضبط متعذر اذا لم يكن لدينا بيان صحيح بعدد السكان

وهاك مثالاً آخر وهو هل موارد القطر الزراعية آخذة في الزيادة على نسبة الزيادة في حاجة السكان . اما الزيادة في الموارد الزراعية فنعرفها من الاحصاء السنوي للاراضي المزروعة كما يرد في بيانات الصيارفة واما الزيادة في الثانية فلا سبيل الى معرفتها بالضبط الاَّ اذا كان لدينا معلومات دقيقة عن السكان . وعندي ان هذا الامر من اعظم المشاكل التي تعرض على رجال السلطنة المصرية في يومنا هذا. فانهُ اذا ثبت الزيادة في عدد سكان القطر جارية على المنوال الذي تبيناهُ في الاحصاء السابق فان سكان القطر سيبلغون بعد خمسين سنة ٢٩ مليوناً وتكون مساحة اطيان مصر حينئذٍ ٧٧٠٠٠٠٠٠ فدان تزرع مرتين في السنة فتساوي ١٥٤٠٠٠٠٠٠ فداناً واذا زرعت بحسب تقسيم المزروعات الشائع الآن كان نصيب المزروعات منها كما يلي

القطن	٣٤٠٠٠٠٠٠	فدان
العلف	٣٣٠٠٠٠٠٠	»
الحبوب ونحوها	٨٧٠٠٠٠٠٠	»

ثم ان الحبوب تزرع الآن في ٤٤٠٠٠٠٠٠ فدان فاذا كانت ٤٤٠٠٠٠٠٠ فدان لا تكاد تكفي ١٣ مليوناً من السكان فهل تكفي ٨٧٠٠٠٠٠٠ فدان ٢٩ مليوناً في سنة ١٩٦٧ والجواب عن ذلك بالايجاب اذا تحسنت غلة الارض وزادت وبالسلب اذا لم تتحسن

ثم ان سكان مصر البالغين الآن ١٣ مليوناً يستخدمون في دفع ثمن وارداتهم على القطن اي اننا نشتري هذه الواردات بثمن قطن لو وزع على سكان القطر لكان نصيب الفرد الواحد من ٥٠ رطلاً الى ٥٥ رطلاً من القطن فبعد خمسين سنة متى صار عدد السكان ٢٩ مليوناً نحتاج من ١٢ مليون قنطار الى ١٥ مليون قنطار من القطن نستخرجها من ٣٤٠٠٠٠٠٠ فدان ومعظم هذه الافدنة الآن احط من اطيان الوجه البحري الخصبة التي تصلح لزرع القطن فهل يتيسر لك ذلك؟ هذا سؤال جوابهُ عند وزارة الزراعة

وهاك بعض الامور التي يطلب من قلم الاحصاء الاجابة عنها

ما هو عدد الناس في احدى مدن مصر او قراها لاجل وضع التدابير اللازمة لجر ماء الشرب اليها

صدق هذه القاعدة . فقد بلغ هذا الفيلسوف ٨٨ سنة من العمر وشرح ما حصل فيهِ من التأثرات النفسانية قبل موتهِ ببضعة ايام قال « اني لا اجهل حالتي واعلم اني مائت بعد اسبوع او اسبوعين وعندي اشياء كثيرة اقولها تختص بموضوع تعليمنا . لا يحق لا حد وهو في عمري ان يتأمل بشيء لان الايام بل الساعات اصبحت معدودة فيجب ان نذعن . اني اموت ولكن ليس بدون اسف واتاسف بنوع خصوصي لاني لا اعرف ما سأول اليهِ مبادئي . ساتوارى قبل ان اقول كلمتي الاخيرة وكل يموت قبل ان يكمل عملهُ وهذا اشق شقاء الحياة . عندما يصير الانسان شيخاً طاعناً في السن وقد اعتاد الحياة يصعب عليهِ كثيراً ان يموت وارى ان الشبان يرضخون للموت اكثر من الشيوخ . عندما يجوز الانسان الثمانين يصبح جباناً ويكرهُ ان يموت ومتى تحقق دنو اجله تحزن نفسهُ وتتمرمر . درست هذه المسئلة من كل وجوهها وراجعت في ذهني مراراً معرفتي بدنو اجلي ومع ذلك لم اتمكن من ان اقنع نفسي بانني مائت عما قليل . ليس الفيلسوف هو الذي يحتج فيَّ لان الفيلسوف لا يهاب الموت بل الرجل القديم . الرجل القديم لا شجاعة فيهِ ليذعن مع انهُ يجب ان يذعن لما لا مناص لهُ منهُ »

نعرف امرأة عمرها مئة سنة وسنتان كانت تخاف كثيراً من الموت حتى اضطر اقاربها ان يكتموا عنها موت اي كان من معارفها واما مدام روبينو فلم تكن تتأثر من ذكر الموت القريب وهي بعمر ١٠٤ او ١٠٥ سنين بل كانت تظهر على الغالب ميلاً اليهِ لانها كانت تحسب ان لا نفع منها في هذا العالم

قال الدكتور كانكالون من المنتقدين عليَّ « ان غريزة الموت تناقض مذهب التحول لانهُ اذا كان الموت الطبيعي نادراً كما يقول مشنيكوف فغريزة الموت عديمة الفائدة . واذا كان وجودها سابقاً للدور الذي يحصل فيهِ التناسل فكيف انتقلت اليهِ وماذا تكون فائدتها في حفظ النوع . واذا تبرهن ان وجودها نتج عن الارتقاء البيولوجي تذلك ينفي مذهب التحول ويكون برهاناً مؤيداً للاسباب الغائية » . على اني لا اوافق على هذه الآراء اولاً لانهُ معروف انهُ يوجد في الانسان والحيوان غرائز مضرة لا تتكفل بحفظ النوع كغريزة التوعية والغريزة التي تحمل الحيوانات على اقتراس صغارها او التي تدفع الحشرات الى النار . واما غريزة الموت الطبيعي فليست مضرة بل قد تكون كبيرة الفائدة لان الانسان اذا اقتنع ان الموت الطبيعي غريزة فيهِ كالحاجة الى النوم وهو غاية الحياة النهائية زال كثير من اسباب الخوف منهُ وهذا الخوف هو الذي يدفع كثيرين من الناس الى الموت الاختياري فغريزة الموت الطبيعي تساعد اذاً على حفظ حياة الفرد وحياة النوع . ثم لا مانع

على الاطلاق من التسليم بوجود غرائز لا علاقة لها بحفظ النوع ولاسيما في الانسان الذي بلغت انانيتهُ اعلى درجة من النمو . وبما انهُ الوحيد من كل الحيوانات الذي يعلم علماً صريحاً بالموت فلا يستغرب ان يخو فيهِ ميل غريزي الى الموت . وقد انكر كانكالون انهُ يحتمل ان يشعر الانسان بشيء من اللذة وهو يحتضر في الموت الطبيعي ولكن النوم والاغماء يسبقها غالباً شعور حسن فلمَ لا يكون ذلك في الموت الطبيعي ايضاً وقد ايدت ذلك الحوادث الكثيرة بنوع لا يبقي محلاً للجدل بحيث يرجح ان الموت الطبيعي يرافقهُ شعور من اللذ ما يمكن ان يوجد

لا مشاحة ان جانباً كبيراً من حوادث الموت كما نراها حالياً يرافق النزع فيها شعور مزعج جداً كما نرى من الجزع البادي على الحاظ كثيرين من المحتضرين الاّ ان في كثير من الامراض وفي بعض العوارض الثقيلة لا يظهر عند دنو الموت اقل شعور مزعج وقد حدث لنا في نوبة حمى راجعة ان الحرارة هبطت في مدة قصيرة من ٤١ الى ما تحت الطبيعي وهبطت القوة هبوطاً عظيماً يشعر بدنو الاجل وكان شعورنا اذ ذاك لطيفاً لا شيء فيهِ من الانزعاج . وظهر في حادثتين من التسمم الشديد بالمورفين شعور لطيف جداً أحسّ صاحبهُ انهُ خفيف الجسم ومعان في الهواء واغمي على امرأة مدمنة المورفين فاشرفت على الموت ولم تستفق الاّ بتجديد حقنها بالمورفين فصاحت عندما استفاقت اني عائدة من مسافة بعيدة ويا ما احيلى ما كنت فيهِ من السعادة . ويروى عن سياح جبال الالب الذين يتدهورون من شاهق عالٍ ويقعون في خطر يدنيهم من الموت انهم يشعرون بحالة من الغبطة والسعادة . وذكر الدكتور سوليه حادثة امرأة اصيبت بالتهاب البريتون وشعرت بدنو اجلها فذكرت انهُ تولاها اذ ذاك شعور بالراحة . وذكر ايضاً حادثة امرأة فنية اصيبت بنزف دموي عقيب النفاس وثبت لها انها مائتة لا محالة فشعرت اذ ذاك براحة تامة وبانفصالها عن كل شيء عالمي

فاذا كان هذا الشعور المحبب يظهر في الموت المرضي وجب بالاولى ان يظهر في الموت الطبيعي لان فيهِ تفقد غريزة الحياة وتظهر غريزة الموت وتقضي المبادئ الطبيعية الانسانية ان يكون هذا النوع من الموت افضل نهاية للحياة على ان ما اتينا على بيانهِ في شرح هذا الفرع من دروس الطبيعة ليس الاّ مبادىء اولية وسيتكمل المستقبل بكشف ما هنالك من الغوامض والوقوف على معلومات جديدة يكون لها شأن عظيم من حيث العلم والانسانية

الدكتور
امين ابو خاطر

ما هو متوسط عدد السكان في الميل المربع في الوجه البحري في الاراضي المجاورة للاطيان الداخلة في مشروعات اللورد كتشنر

هل تنتج المنوفية من الحبوب والبقول والفاكهة ما يكفي لاطعام اهلها

ما هي مقطوعية القطر المصري من الطعام لكل فرد من افراد سكانها

هل تزداد مصروفات الحكومة بسرعة تفوق سرعة زيادة عدد الاهالي او تنقص عنها

فهذه الاسئلة واشباهها لا يمكن الاجابة عنها من غير معرفة عدد السكان وهذا لا يتاح الا بالاحصاء

وقد احصي سكان مصر غير مرة في ما مضى ولا اتولى الآن بسط الكلام في هذه الاحصاءات ولكني اشير الى احصاء جرى في حكم عمرو بن العاص سنة ٦٤٣ مسيحية فقد روى المقريزي وسواه من المؤرخين ان عمراً فرض جزية قدرها ديناران على كل ذكر من ابن سبع الى ابن ستين على ما يظن لجبي من ذلك ١٢ مليون دينار ومعنى ذلك ان عدد الذكور بين هاتين السنتين كان ٦ ملايين وان مجموع السكان كان نحو ١٢٠٠٠٠٠٠ ولكننا لا ندري هل جبي الاثنا عشر مليون دينار كلها من هذه الجزية او كان معظمها من ضرائب الارض والبعض الآخر مقابل اطلاق حرية المذاهب والاديان

اما في العهد الاخير فقد تمت الاحصاءات التالية وكانت نتائجها كما يأتي في هذا الجدول:

السنة	عدد السكان بالملايين	متوسط الزيادة السنوية في الالف	عدد السكان بالحساب بالملايين
١٨٠٠	٢٫٤٦	—	٢٫٠٣
١٨٢١	٣٫٥٤	١٫٤٥	٢٫٨٣
١٨٤٦	٤٫٤٨	٢١٫٩٨	٤٫٢٣
١٨٨٢	٦٫٨٣	١١٫٨١	٧٫٥٥
١٨٩٧	٩٫٧٣	٢٣٫٨٩	١٠٫٦١
١٩٠٧	١١٫٢٩	١٠٫٩٠	١١٢٩

ويستنتج من هذه الارقام ان عدد السكان في سنة ١٨٠٠ وسنة ١٨٨٢ كان اقل مما يجب وهذا لا يستغرب اذا اعتبرنا ان السنتين المذكورتين كانتا سنتي اضطراب وقلاقل سياسية في القطر

اما العمود الاخير في الجدول المتقدم ذكرهُ فيتضمن عدد السكان بحساب ان متوسط الزيادة السنوية فيهِ جرى على وتيرة واحدة في القرن الماضي وقد تبين ان هذا المتوسط ٤٠ في الالف

وقد كان الاحصاء الاول من هذه الاحصاءات تقديرياً واستخرج الثاني من بيانات الضرائب والثالث من عدد البيوت فلا يصح ان نطلق لفظة الاحصاء بمعناها المفهوم الآن الاَّ على الثلاثة الاخيرة

ان جانباً كبيراً من قيمة الاحصاء يتوقف على انتظام مواعيدهِ ولهذا جرت البلدان المتمدنة على عادة احصاء شعوبها مرة كل عشر سنوات او كل خمس سنوات والاسلوب الثاني اوفى بالمرام ولكن كثرة النفقة تحول دونهُ

وقد تم الاحصاء الاخير في مصر سنة ١٩٠٧ والذي قبلهُ سنة ١٨٩٧ وعلى هذا القياس كان موعد الاحصاء التالي في سنة ١٩١٧ وهذا ما قر عليهِ القرار لما نُقلت الى قلم الاحصاء سنة ١٩١٣ اي قبل الحرب بسنة وهذه الحقيقة تكفي لتفنيد ما زعمهُ البعض وهو ان الامر صدر بعمل الاحصاء لعلاقة لهُ بالحرب الدائرة الآن

فالباعث التاريخي اذاً هو ان تكرار عملية الاحصاء مرة كل عشر سنوات يقضي بان يكون الاحصاء سنة ١٩١٧

اما الاعتراض الثاني فحسبي ان اقول فيهِ ان القوة التي تصرف في سبيل الاحصاء ليست من القوة المخصصة للحرب . فمن اول مارس القادم يشتغل بعمل الاحصاء نحو سبعين الف عداد لم يؤخذ واحد منهم من بين المشتغلين بالحرب او لها وكلهم تقريباً من المصريين غير المطالبين بالحرب والقتال اما الاوربيون القليلون الذين يشتغلون معهم فاما انهم مأخوذون من مصالح الحكومة الاخرى او هم من المعفين من الخدمة العسكرية و بعضهم من المحايدين

ومن محاسن الصدف ان الاحصاء سيقع في وقت قد يؤثر التغيير السياسي فيهِ في مركز مصر وحالتها الاقتصادية والاجتماعية

وهنالك باعث ثالث فقد شاهد اهل مصر الوف الجنود يأتون و يذهبون في اثنائهن الماضيين وعلموا ان استعدادات واعمالاً حربية عظيمة قامت على حدود بلادهم ولكن القطر المصري نفسهُ ظل سالماً من تأثير الحرب . فالزراع يزرعون القطن والذرة والقمح كما كانوا يفعلون سنة ٩١٣ وقد تغيرت اثمان الحاصلات وتغيرت مساحات الاطيان للزراعات المختلفة اتباعاً لتغيير السعر ولكن مصر ظلت خارج نطاق الحرب فعلاً فلم يقع اذاً ما يقضي

بتأجيل هذا العمل الاداري فمصلحة الجمارك تنشر احصاءاتها التجارية ومصلحة الموانىء والمنائر تحصي البواخر التي تدخل مرافئنا وتخرج منها ووزارة الزراعة تحصي حيوانات الزراعة كل سنة ومصلحة الصحة العمومية تقيد الاحصاءات الجوهرية والصيارفة يسجلون احصاءاتهم عن المواسم والمحاصيل فلماذا نؤجل العمل الذي يبين لكل احصاء من هذه الاحصاءات مكانهُ من الشأن وهو احصاء السكان

اما وقد استقر القرار على احصاء السكان فاول ما يجب علينا بعد ذلك تعيين الامور التي تطلب الوقوف عليها والتي نجعلها غرضاً لاحصائنا . وهذه الامور تتوقف على الغرض الذي نبغيهِ من الاحصاء وتتوقف ايضاً على ما عندنا من الوسائل المادية والبشرية ولكن اقل ما يحويهِ الاحصاء بيان عدد السكان من الذكور والاناث ولكني سبقت فذكرت ان هنالك معلومات ضرورية يجب الوقوف عليها اذا اردنا معرفة موارد البلاد . وقد بحث مؤتمر الاحصاء في اجتماعهِ ببترو غراد سنة ١٨٩٧ في هذه الامور وقرر ما يأتي

ان يسأل الفرد عن اسمهِ وسنهِ وتعيين سنة المولد والشهر بالضبط اذا امكن وقرابتهِ من رب البيت وهل هو اعزب او متزوج مطلق او ارمل وعن مهنتهِ او صناعتهِ وهل هو صاحب عمل او مستخدم وعن ديانتهِ ولغتهِ ومعرفتهِ للقراءة والكتابة ومكان الولادة والتابعية والمحل المختار للسكن عادة والعاهات التي يمكن ان يكون الشخص مصاباً بها

وزاد المؤتمر في اجتماعهِ الاخير في رومية اموراً اخرى اشار بادخالها في الاحصاء

ولما اجتمع المؤتمر في شيكاغو سنة ١٨٩٣ وفي يون سنة ١٨٩٥ اشار بامور اخرى تتعلق بالصناعات والمهن وسائر الاعمال فوضع الاستاذ برتيلون جدولاً لهذه المهن والصناعات ووافق المؤتمر عليهِ بعد تعديل يسير

اما الذين يشملهم الاحصاء فسكان البلاد المقيمون فيها عند اجراء الاحصاء سواء كانوا قاطنين فيها على الدوام او مقيمين فيها لاجل معين ولكن قر القرار على ان لا يشمل الاحصاء جنود الحلفاء الذين يكونون في القطر عند اجراء التعداد اما سكان البلاد الذين يشتغلون فيها مع جيوش دول الاتفاق سواء كانوا من اهل القطر او من الاجانب فهؤلاء يشملهم الاحصاء

وقد راعينا في اختيار موعد الاحصاء عدة امور اذ لا يخفى انهُ لا يحسن اجراء التعداد في اثناء مولد شهير كالمولد الاحمدي في طنطا او سواهُ من الموالد الكبيرة لان عدداً كبيراً من الناس يهجر المنازل والقرى في اثنائهِ ثم ان من مصلحة العدادين ان يكون التعداد في يوم ينير القمر ظلمات ليلهِ و بذلك يتمكنون من الاستمرار في عملهم ما دام نور النهار طالعاً

والعودة الى مساكنهم على نور القمر ولهذا الامر شأن يذكر في القرى والارياف فالايام التي اخترناها للاحصاء ملائمة اتم ملاءمة من هذين الوجهين

اما اختيار الساعة التي يجري الاحصاء فيها فالعامل الاكبر في تعيينها وجود الناس في منازلهم . ويتعذر تعيين ساعة يصح ان يقال ان جميع سكان مصر يكونون فيها في بيوتهم ولكن الليل خير الاوقات وانسبها من هذا الوجه فانهُ مع ما قيل في مواقع العمل التي يعمل الناس فيها فانهم يضطرون في ايام الشتاء ان يبيتوا في منازلهم او في المنازل على الاطلاق ولهذا وقع الاختيار على جعل ساعة التعداد نصف ليل ٦ — ٧ مارس ونص على وجوب احصاء اي شخص يكون في تلك الساعة غائباً عن منزله ويعود اليهِ في صباح ٧ مارس مع سكان ذلك المنزل فرجال البوليس والخفراء ومستخدمو سكك الحديد والتلغرافات الذين تقضي عليهم اعمالهم بقضاء الليل في خارج منازلهم يعدون مع سائر اهل بيوتهم اذا عادوا اليها في صباح ذلك اليوم المذكور

اما السفن والمراكب فضطرة الى الكف عن السفر في الليل وقد اتخذنا تدابير خصوصية لاحصاء الذين فيها في مراسيها ولكن قطرات سكك الحديد ليست كذلك فان عدد القطرات التي تكون سائرة في القطر المصري في نصف الليل ١٣ قطاراً علاوة على قطرات الضواحي ولكن هذه القطرات تصل الى المواقع التي تقصدها قبل الساعة العاشرة من الصباح الاَّ اثنين وسيحصى معظم ركابها متى بلغوا آخر مكان تصل اليهِ اما القطاران المذكوران فهما قطارا الليل بين القاهرة والشلال ولكننا اتخذنا لهما تدابير اخرى فلا يفلت من ركابهما من احصائنا سوى جانب منهم ينتقلون من هذين القطارين الى قطرات اخرى ولكننا احطنا هم احتياطاً خاصاً ايضاً فالاحصاء سيقع اذاً في نصف ليل ٦ — ٧ مارس ١٩١٧ وسنتخذ التدابير لجعله شاملاً للعمال الذين يعملون ليلاً والمسافرين الذين يسافرون ليلاً

ان احصاء السكان نظرياً من اسهل الاعمال وابسطها ولكن الاحصاء فعلياً محفوف بصعوبات شتى واهم مبادئهِ ان يعد كل شخص مرة واحدة فلا يحذف ولا يعد شخص مرتين فاذا روعي هذا المبدأ ذللنا جانباً كبيراً من الصعوبات التي تعترض لنا

ولا يخفى ان القطر المصري مقسوم الى خمس محافظات و ١٤ مديرية وان المحافظة تقسم الى اقسام لكل منها مأمور وشياخات لكل منها شيخ وان المديريات تقسم الى مراكز وهذه تقسم الى دوائر كل منها في عهدة صراف وقد تحتوي الدائرة الواحدة من هذه الدوائر على بضع قرى او نواح وقد تكون جزءاً من قرية كبيرة او بندر

وقد اضطررنا الى قسمة بعض المحافظات الى « دوائر » و بعض الاقسام الى اقسام ثانوية وقسمنا مركزاً واحداً لجعلناه قسمين

وفي القطر ٣٩ بندراً قسمناها الى بنادر من الدرجة الاولى و بنادر من الدرجة الثانية و يدخل في الدرجة الاولى قواعد المديريات وهي تستحق اهتماماً خاصاً لان الاحصاءات الجوهرية تجمع فيها وقد عاملنا جميع البنادر معاملة الاقسام

وهنالك ايضاً مديرية سيناء ومديرية الغرب التابعة لمصلحة خفر السواحل

ولا اتولى الوصف والاسهاب في بيان الاسلوب الذي سنجري عليه ولكني اقول انا جعلنا لكل شياخة في القاهرة والاسكندرية حرفاً خاصاً بها رسم مع رقم خاص على باب كل منزل في الشياخة واذا كان لبضعة منازل منفذ واحد الى الشارع يكتب رقم لكل منزل منها على باب هذا المنفذ

وشرعنا في احصاء المنازل في المديريات وفرغنا منه في اغسطس وسبتمبر ثم في المحافظات والبنادر وفرغنا منه في فبراير

ان تعداد النفوس من اكثر اعمال الاحصاء نفقة وهذه النفقة تزيد اذا تغير القائمون بعمل التعداد كل عشر سنوات والعادة الشائعة في البلدان التي تحصي سكانها ان تستعين الحكومات بموظفيها على هذا العمل

يقدر عدد سكان مصر الآن بثلاثة عشر مليوناً ومئة الف وقد دل الاختبار على ان العداد الواحد لا يستطيع ان يحصي اكثر من ٢٥٠ نفساً الا اذا اجهد النفس وقضى وقتاً طويلاً في العمل . وقد بلغ متوسط اهل البيت الواحد في الاحصاء الاخير في مصر ٥ ٨/١٠ وعلى هذا يكون ٢٥٠ شخصاً موجودين في ٤٣ منزلاً على المتوسط فقسمنا البلاد الى اقسام في كل منها من ٤٠ منزلاً الى ٥٠ وعيناً لكل قسم عداداً فيكون مجموع العدادين المطلوب نحو ٥٢ الفاً . ولكن هنالك ثلاث من الاهالي تقتضي عناية خصوصية في التعداد كالبدو وركاب القطرات والملاحين والحجر وهذا يقضي بزيادة العدادين ٢٥ في المئة وعلى ذلك يكون مجموع العدادين الحقيقي ٦٥ الفاً علاوة على خمسة آلاف عداد احتياطي

ولو شئنا ان نكافىء العدادين باعطاء كل منهم جنيهاً وهو اقل مبلغ يكافأون به لبلغت نفقة الاحصاء ثلاثة اضعاف ما هي ولعجزت مصر عن القيام بها فاستصدرنا مرسوماً سلطانياً في ٢٠ نوفمبر ١٩٠٦ يقضي على جميع الرعايا المحليين بان يعملوا في الاحصاء مجاناً وهذا الامر شائع في جميع البلدان المتمدنة . ووصف الكاتب هنا ما يطلب من الناس في

البلدان المتمدنة من الخدمة المجانية للحكومات كالخدمة العسكرية والخدمة في اللجان المحلية والمحاكم بين المحلفين وقال ان ذلك يعد فخراً للقائمين به ثم قال ان اهل مصر تلقوا المرسوم المذكور بالارتياح التام ولم تقدَّم الى ادارتنا شكوى واحدة تدل على عدم الرغبة في اداء هذه الخدمة غير ان البعض وجهوا نظرنا الى ان لديهم اعمالاً رسمية او معجلة تستغرق كل وقتهم يوم التعداد . والوقت المطلوب لعمل التعداد قصير فالاورنيك يملأ في ١٠ — ١٥ دقيقة عادة فعشر ساعات تكفي لملء اربعين اورنيكاً فاذا اضيف اليها الوقت اللازم في اليوم التالي لتصحيح الاراثيك تبين لنا ان المجموع لا يزيد على ٢٤ ساعة مقسومة على نحو ١٥ يوماً

اما تعداد سنة ١٩٠٧ فكلف الحكومة ٣٠١٤٢ جنيهاً وقدرت نفقة التعداد الجديد بمبلغ ٢٧٣١٠ جنيهات ولكن غلاء المواد الكتابية والمكتبية في السنة الماضية سيؤدي هذه السنة الى زيادة النفقة على هذا التقدير فقد قدرنا لاقلام الرصاص المطلوبة ٥ جنيه ولكن النفقة الحقيقية لها ستبلغ ضعفي هذا المبلغ وقدرنا ثمن الدواليب التي توضع فيها الاراثيك بعد ملئها بمئتي جنيه ولكنها ستكلف الآن ٩٠٠ جنيه وقس عليه

ان دون الاحصاء في البلدان الشرقية صعوبتين عظيمتين اولاهما ان الاهالي يشتبهون طبعاً في عمل كهذا غير مألوف عندهم ويرتابون في الغرض منهُ . وهذه الصعوبة تعالج باذاعة الغرض من الاحصاء وفوائده والطرق التي تتبع فيه . والصعوبة الاخرى ان السواد الاعظم من الاهالي يجهل القراءة والكتابة وهذا يقضي بتمرين العدادين على اعداد الاراثيك للناس ولهذا الغرض عينّا جماعة من المراقبين على عمل العدادين

وشرعت المطبعة الاهلية منذ ١٤ يناير تجهزنا باراثيك الاحصاء فكانت ترسل الينا كل يوم ١٥٠ الف اورنيك حتى صار منظر حوش مصلحتنا كمنظر حوش وابورات حلج القطن في ايام الموسم وشرعت نوزع هذه الاراثيك بواسطة سكة الحديد والبوستة ولم يفقد منها سوى شحنة مؤلفة من ٨٠٠٠ اورنيك لا تزال تائهة في الوجه البحري تبحث عن اتياي البارود

وختم خطبتهُ بملاحظات عامة قال فيها ان التعداد كسائر اعمال الاحصاء يقسم الى ثلاثة ادوار الدور الاول جمع المعلومات والدور الثاني تبويبها والدور الثالث البحث فيها وهو زبدة العمل . ووصف الطريقة التي اتبعت سنة ١٩٠٧ في جمع المعلومات ولم يستحسنها تماماً الى ان قال : وبعد سنة اعرض عليكم النتائج الكبرى لهذا العمل اي نتائج الدور الثالث الذي تقدم ذكرهُ

مصر منذ أربعمائة سنة

(٣)

سفير البندقية في الاسكندرية

في يوم عيد الشعانين اقلعنا بعد الصلاة الى مدينة الاسكندرية . قلبثنا بين الماء والسماء مدة ثمانية ايام لم نرَ فيها البر . وفي ١٢ ابريل ظهرت لنا حصون ابي قير فلما رسونا في مرفإ ابي قير ارسل السفير في الحال رسولاً الى البر ليذهب الى الاسكندرية وهي على بعد ١٨ ميلاً من ابي قير ليعلم قنصل دوقيتنا بقدومنا ويستأذن لنا ان يرسو اسطولنا في مرفإها وامره ان يعلن السلطة المحلية بقدوم سفير مفوض من قبل حكومة البندقية لدى سلطان مصر

وفي اليوم التالي اقبل الى ابي قير السر لويزو دي سكودو سمسار البنادقة في الاسكندرية ومعهُ كثيرون لاستقبال السفير . اما ثغر ابي قير فقفر ليس فيهِ سوى بعض اكواخ للصيادين وحصن قديم قائم بين الصخور الرملية . وبعد يومين رجع الرسول من الاسكندرية ومعهُ رسائل من القنصل وجواز من اميرال البحر نائب السلطان في الاسكندرية [1] يأذن لاسطولنا ان يأتي مراسيهُ في هذا المرفإ . والجواز مكتوب باللغة العربية وبلهجة التودد والترحاب

اقلعنا من ثغر ابي قير في ١٧ ابريل ولما اشرفنا على الاسكندرية اقبل الينا مركبان مصريان مزينان بالاعلام ومفروشات بالمقاعد الحريرية المطرزة بالقصب ليقلا السفير وحاشيتهُ الى البر فركبنا فيهما فاوصلانا الى الميناء وكان قنصلنا وكل التجار الافرنج بانتظارنا وارسل الاميرال حاكم المدينة ونائب السلطان سبعة جياد مسرجة لركوب السفير واتباعهِ وخفرتهُ كوكبة من فرسان الاميرال وسار كل التجار والنزلاء الافرنج على اقدامهم في ركابهِ . وعند ما وصلنا الى دار البحرية استقبلنا الاميرال والداودار وهو حاكم البلد ومعهما شرذمة من الفرسان فرحبا بالسفير وسارا عن يمينهِ ويسارهِ ودخلنا الى المدينة باحتفال عظيم . وكانت الطرق والشوارع غاصة بالناس اقبلوا لمشاهدة سفير الافرنج ومررنا بفندق البنادقة [2] وكانت ابوابهُ مزينة ومجللة بالاقمشة الحريرية وطرقاتهُ مفروشة بالطنافس العجمية وعلى جدرانهِ شارات الدوقية المعظمة . وهناك انفصل عنا الاميرال الكبير وذهب

(١) كان هذا الاميرال وانصباي الامير قنصوه بردبي كما جاء في تاريخ ابن اياس سنة ٩٢٣ هجرية

(٢) وكالة كبيرة كانت تسمى بلغة الافرنج وقتئذٍ « الفندق » يقيم فيها التجار وقناصلهم ويخزنون فيها بضائعهم

مع حاشيته الى قصره . واما الداودار فلبث مع السفير الى ان وصلنا الى سراي الاميرال فترجلنا عند الباب الخارجي ودخل السفير مع القنصل ورجال السفارة الى بهو كبير مفروش بافخر الرياش والسجاد وكان في صدر المكان منصة مرتفعة تدعى عندهم « مصطبة » مفروشة بالمقاعد والوسائد الحريرية والديباج والاميرال جالس عليها فجلس السفير على مصطبة مفروشة مقابلها . ثم اخرج من جيبه كتاب حكومة البندقية المثبت اعتماده سفيراً مفوضاً مرسلاً منها الى حكومة مصر . ففضّ الاميرال الرسالة واعطاها لاحد تراجمته فقرأها علناً وترجمها الى اللغة العربية . ثم قدمت المشروبات المرطبة للسفير فقط وتبادل مع الاميرال عبارات التحية والترحاب ثم استأذن في الانصراف وخرج وذهب بموكبه الحافل مع الفرسان والتجار الى القصر الذي اعدهُ الاميرال نائب السلطان لنزوله مدة اقامته بالاسكندرية . وهو قصر كبير فخم يحتوي على قاعات ومخادع كثيرة كلها مرصوفة بنقوش الفسيفساء والمرمر واعمدة الرخام والغرانيت واما ابوابهُ فكلها من الابنوس المجزع بقطع العاج والصدف . وفي هذا القصر ستون باباً على هذا الشكل يساوي كل باب منها ثقلهُ ذهباً . وكذلك السقوف فكلها منقوشة بالزخارف والرسوم البديعة المذهبة

وصف الاسكندرية

ومدينة الاسكندرية مستطيلة الشكل لان بيوتها قائمة على طول شاطئ البحر وتسعة اعشار ابنيتها متهدمة كأنها اصيبت بزلزال . ومعظم سكانها فقراء من الحائكين والصيادين وقد هاجر اهلها الى البلاد الداخلية من ظلم الحكام وعسفهم واظن انهُ لا يمضي زمن طويل حتى تصبح قفراً بلقعاً . وقسم كبير من الابنية تحت الارض ظاهرها اكام متفرقة بين الخرائب القديمة . وفيها الآن عمودان قديمان (مسلتان) على مثال عمود القديس بطرس في رومية احدهما قائم والآخر ملقى على الارض وخارج السور عمود يقال لهُ « مسلة بومباي » ويقال ان رأس هذا القائد الروماني قطع هناك

وفي الاسكندرية مرفآن يقال لاحدهما المرفأ القديم وهو مرسى للمراكب المصرية فقط ولا يسمح لمراكب الافرنج ان ترسو فيهِ تحميهِ مدافع الحصون من الجانبين . والمرفأ الآخر الحديث وهو خاص بمراكب الافرنج ولا يسمح ان تدخل فيهِ او تخرج منهُ الاَّ باذن صريح من اميرال البحر نائب السلطان (انظر الصورة) وعلى بعد خمسة اميال من المدينة صهاريج كبيرة عميقة تحت الارض تملأ بمياه النيل في اوقات الفيضان وتجري منها تحت الارض بواقنية وتوزع على حارات المدينة

تهادي الاميرال والسفير

وفي صباح اليوم التالي ارسل الاميرال الى السفير بعض الهدايا على سبيل التحية والترحاب كصيف السلطان وكانت مؤلفة من عشرة خرفان وثلاثة سلال من الخبز وسل ليمون وثلاثة سلال من اللفت ومثلها من فريك الحمص (ملانة) وسلتين من البرتقال وعشرة سلال بجل وعشرين دجاجة . ولما وصلت هذه الاشياء الى السفير امر ان يعطى الحاملون اربع دوقات ذهب حلوانًا . وعند الظهر ارسل السفير الى نائب السلطان الهدايا الآتية وهي ثوب من الجوخ المنسوج بالذهب طوله اثنا عشر ذراعًا . وثوب آخر ذهبي اللون لا نقوش فيه وقطعتان من الحرير البرتقالي اللون وثلاث قطع من الحرير القرمزي طولها ١٥ ذراعًا وستة قوالب كبيرة من الجبن البندقي وزن القالب منها اربعون رطلاً . وحمل هذه الهدايا بعض اتباع قنصلنا (القواص) وقدمها ترجمان السفارة للاميرال فوهبهم عشرين دوقة ذهب

كتاب السلطان الى السفير

وفي ١٩ منهُ دعا الاميرال السفير الى قصره وسلّم اليهِ كتابًا ورد من السلطان الغوري بمصر متضمنًا عبارات الترحيب والتحية ومؤذنًا لهُ بالحضور الى مصر والمثول لديهِ . والكتاب باللغة العربية موضوع ضمن غلافٍ كبير مقفل بالصمغ وورقهُ متين مصقول واما سطورهُ فمتفرقة وبين كل سطر وآخر قيد اربع اصابع . فاخذ الداودار الكبير الكتاب وقرأهُ طلسًا ثم قبلهُ واعطاهُ للترجمان فقرأهُ باللغة الايطالية وكان السفير واتباعهُ والاميرال والداودار واقفين اثناء القراءة احترامًا للسلطان . ثم اخذ الداودار الكتاب من يد الترجمان وبعد ان قبلهُ ووضعهُ على رأسهِ اعطاهُ للاميرال وهذا وضعهُ على شفتيهِ وناولهُ للسفير فقبلهُ ايضًا ووضعهُ في جيبهِ ثم استأذن ورجع الى قصرهِ

ولبثنا في الاسكندرية عشرة ايام وقد اشار علينا نائب السلطان ان لا نبرحها لانتشار عصاة العربان في ضواحيها فقد قطعوا الطريق وعاثوا في المقاطعات الشمالية (البحيرة) نهبًا وسلبًا فارسل السلطان جنودهُ فقبضوا على زعماء العصاة . ولما استتب الامن سمح لنا بالسفر

وفي ٢٨ ابريل برحنا مدينة الاسكندرية واستأجرنا عشرين جملاً لحمل امتعتنا الثمينة وصناديقنا . واما براميل الخمر وباقي الامتعة فارسلناها في جرم الى بولاق بطريق النيل . وقد قصدنا رشيد لنسافر منها الى مصر في الفرع الرشيدي لكونهِ اكثر أمنًا . وعند المساء وصلنا الى ابي قير فنصبنا الخيام ولبثنا تلك الليلة هناك وفي اليوم التالي وصلنا الى رشيد

وهذه المدينة ذات بيوت حسنة قائمة عند مصب النيل وهو احد مصابّ السبعة . وضربنا خيامنا تحت شجر النخل خارج البلدة في مرج اخضر . ثم اقبل حاكم المدينة لتحية السفير وقدم لهُ هدية ست وزات وستين رغيفاً وقفة رزّ فقبلها بسرور وقدم لهُ بدلا منها ثوباً من الجوخ المخزع . ثم زرنا المدينة في صحبة الحاكم فادخلنا الى بستان كبير فيهِ كثير من الاشجار المثمرة ورأينا بينها شجراً غريباً طول الورقة منهُ اربعة اذرع وعرضها نصف ذراع يقال لهُ في لغتهم موز وثمرهُ يشبه الخيار واما طعمهُ فسكري وفي البستان كثير من شجر البرتقال والليمون والتوت

وفي ٣ مايو ركبنا مركباً كبيراً الى القاهرة تبعهُ اربعة اجرام لحمل الامتعة والصناديق وفي صباح اليوم التالي وصلنا الى بلدة يقال لها فوّه وهي عامرة كثيرة السكان وتجارتها واسعة الى الداخلية وفيها اسواق كثيرة مسقوفة على الطرز الشرقي . ثم واصلنا سيرنا في الليل وكنا نرى على الشاطئين السواقي التي تدار بواسطة الثيران لري الاراضي ورأينا كثيرين من الاهالي رجالاً وغلماناً عراة الابدان

وفي ٦ منهُ وصلنا الى مدينة بولاق وهي مرفأ عاصمة مصر على بعد ميلين منها وهناك استقبلنا ترجمان السلطان ورحب بالسفير بالنيابة عن مولاهُ [1]

وفي صباح اليوم التالي نهضنا عند الفجر لنقل امتعتنا وحملناها على اربعين جملاً وبغلاً كل واحد منها بجلال بجلال من الجوخ الاحمر مطرز الحواشي وعلى دائره الصفح الذهبية وعليهِ شارة اسرة السفير ودوقية البندقية . فركب السفير على جواد عربي مطهم وركب رجال السفارة والحاشية وراءهُ على جياد وبغال مرسلة من الاسطبل السلطاني . وسار في ركاب السفير اربعة غلمان من المماليك متردون بثياب زاهية ترمزية . وارسل السلطان مهمندارهُ الخصوصي [2] مع شرذمة من المماليك والانكشارية المسلحين لاستقبال سيادته

(١) قال السائح تود في رحلته سنة ١٥١٢ ان هذا الترجمان كان ايطالياً من تيرون التابعة لدوقية البندقية وكان تاجراً في مصر ثم اقبل الاسلام بعد ان تعلم اللغة العربية فجعلهُ السلطان قانصوه الغوري ترجماناً خصوصياً لهُ وقربهُ اليهِ ورفعهُ لقب الامارة فدعي الامير يونس الترجمان بعد ان خط على ترجمانه السابق تاقريدي الاسرائيلي المار ذكرهُ واقصاهُ من خدمته

(٢) كان مهمندار السلطان الغوري وقتئذٍ الامير اردمير كما جاء في ابن اياس وكانت وظيفته مقاومة الفواصل واستقبال السفراء والاجانب وهو بمثابة رئيس التشريفات الآن او كبير امناء السلطان

فركب المماليك الخيل وكلهم بثياب زاهية مقصبة وتبع السفير نحو عشرين شخصاً من تجار البنادقة في مصر مع رئيسهم وكانوا قبل وصول السفير مكبلين بالحديد في السجن

فدخلنا بمون الله الى عاصمة السلطنة بهذا الموكب الحافل البهج ووصلنا الى القصر الذي اعدهُ السلطان لنزول السفير كضيف لهُ وهو من القصور العظيمة الباذخة وارضهُ مرصوفة بالفسيفساء واعمدة الرخام والمرمر وسقوفهُ منقوشة بالذهب والرسوم الملونة وابوابهُ من الابنوس المرصَّع بالصدف وقطع العاج والنقوش الذهبية وداخلهُ الحدائق والفساقي وعلى جدرانهِ الصور البديعة الرسم والزهور وقد صرف على بنائهِ مائة الف دوقة ذهب[1] وفي صباح اليوم التالي ارسل السلطان الى السفير الهدايا الآتي ذكرها مبالغة في حسن الضيافة وهي اربعة واربعون رغيفاً كبيراً معجونة بالزبدة والسكر وزن الرغيف منها اربعة ارطال خمس جرار كبيرة من العسل الهندي . جرتان من السمن الخالص . اربعون خروفاً . خمسون زوجاً من الدجاج . عشرون وزة . كيسان من الارز . وصلت هذه الهدايا مع مماليك السلطان فامر السفير ان يوزع عليهم عشر دوقات ذهب

مقابلة السلطان

وفي اليوم العاشر من شهر مايو ذهب السفير لمقابلة السلطان المقابلة الاولى الرسمية وكانت على هذه الصفة : اقبل في الصباح المهتدار مع الترجمان ليصحبا السفير الى القلعة فركب جواداً مطهماً بعد ان تردى بثوبهِ الدوقي الرسمي وهو من الديباج المطرز بالقصب الذهبي فوقهُ رداء من الجوخ المنسوج بالذهب تتدلى السجف الذهبية من حواشيهِ واطرافهِ وعلى صدرهِ وسام القديس فرنسس الشريف . ولما يتقلد السيف احتراماً للسلطان وركب معهُ رجال السفارة والقنصل والحاشية والاتباع على الجياد والبغال المرسلة من الاسطبل السلطاني ومشى حولهُ اربعة من غلمان المماليك الصغار وكلهم باثواب قرمزية زاهية . فسرنا في شارع طويل الى ان وصلنا الى ميدان فسيح حيث ملعب الخيل والسباق . ولما وصلنا الى القامة ترجل السفير واتباعهُ فصعدنا اربعين درجة في سلم عريض الى بوابة القلعة الاولى وكان هناك كثيرون من فرق الجند الانكشارية . ثم اجتزنا اربعة ابواب اخرى ووراء كل

(١) ذكر تودد هذا القنصل في رحلتهِ فقال ان القصر الذي اعدَّ السلطان الغوري لسفير البندقية بناهُ السلطان قايتباي لزوجتهِ السلطانة ام ابنهِ الملك الناصر محمد وزخرفهُ بكل انواع النقوش الثمينة والمرمر والحجارة الكريمة

باب جمع من الحرس والمماليك . وبعد البوابة الرابعة عرصة واسعة على جانبيها دكتان مرتفعتان جلس على احداها الاميران قومندان القلعة[1] وعلى مقربة منهُ عشرة من المماليك الغلمان يعزفون بالمزمار و يقرعون على الطبول و يقرعون الصنوج النحاسية ترحيباً بالسفير . فلما دخلنا نهض امير القلعة وحيا السفير بحناية الراس ففعل هذا مثلهُ

ثم اجتزنا ثلاثة ابواب اخرى ودخلنا الى ميدان صغير جدرانهُ على الجانبين مزينة بكل انواع الاسلحة من رماح وسيوف وخوذ وتروس ونبابيت حديدية وخناجر وغيرها . ورأينا نفراً من الحدادين وصانعي الاسلحة يصنعون السيوف والرماح فوقف السفير امامهم هنيهة . ولما جاوزنا هذا الميدان ذهب هؤلاء العمال فاستدللنا من ذلك ان امير القلعة جعلهم في طريق السفير ليريهُ كيفية اهتمام السلطان بصنع الاسلحة المصرية

وعندما وصلنا الى الميدان الاخير اطلقت من القلعة مدافع اتحية للسفير . ثم اجتزنا اربعة ابواب ودخلنا في اخرها الى ايوان واسع مكشوف وكان غاصاً بالمماليك ورجال الديوان السلطاني ومفروشاً كلهُ بالسجاد والقطيفة . وكان السلطان الملك الاشرف قانصوه الغوري جالساً في صدر هذا الايوان على دكة مرتفعة عن الارض ومتربعاً على مقعد من الدمقس وواضعاً يدهُ اليمنى على وسادة كبيرة عليها سيفهُ وترسهُ وهما على الدوام بجانبهِ اينما جلس . وكان على رأسهِ عمامة بيضاء كبيرة تشبه في شكلها تاجاً يزنطياً ملفوفة طياتها لفاً محكماً يخرج طرفاها من الامام كقرنين بارزين طول الواحد منهما نصف ذراع . وكان متردياً بثوب قطني ابيض فوقهُ رداء اخضر غامق وعلى كتفيهِ مطرف من صوف . وكان عن يمينهِ عشرون من القواد والامراء والوزراء وعظماء السلطنة وكلهم واقفون حاشمين وهم على مثال السلطان متردون بثياب بيضاء وعلى رؤوسهم العمائم الكبيرة على اشكال مختلفة بين مستطيلة واقفية وعرضية . وكان على الجانب الاخر جمع من الاعيان والامراء وحكام البلاد . فتقدم السفير واتباعهُ وعلى جانبيهِ اربعة من الغلمان ابناء التجار البادقة يحملون ذيول ردائهِ الكبير لئلا يعثر بها . ثم رفع تبعتهُ وهي من الخمل مزركشة بالقصب الذهبي على دائرتها وحنى رأسهُ كثيراً الى ان مس الارض بانامله ثم مسّ بها شفتيهِ وجبهتهُ وتقدم بضع خطوات واعاد السلام كما فعل اولاً وعاد فسار خمس خطوات ووصل الى الحد الاخير للمقابلة

(١) كان يلقب هذا القومندان بنائب القلعة . وكان وقتئذٍ الامير ترقات باي الشلي كما جاء في ابن اياس في تاريخ سنة ٩٢٣

وكان بينهُ وبين مجلس السلطان مسافة عشرين قدماً مفروشة بطنفسة خضراء نفيسة ثمينة من الحرير المخملي لا تفوش فيها ولا يسمح لاحد ان يطأها بحذائهِ . فوقف السفير عند هذا الحد ووراءهُ اتباعهُ وحنى رأسهُ المرة الثالثة حتى مس الارض بانامله . ثم اخرج من جيبهِ كتاب صاحب السمو والمقام المحترم دوق البندقية وهو مكتوب بحروف من ذهب على ورق بنفسجي فاتح اللون وعلى غلافهِ اربع شرائط (كوردون) من الحرير البنفسجي معقودة اطرافها الاربعة بانشوطة وعليها ختم حكومة البندقية من شمع ذهبي وتتدلى من اطرافها الاخرى اربع اكر صغيرة او رمانات من الذهب الخالص . فادنى السفير الكتاب من شفتيهِ ولثمهُ ووضعهُ على جبهتهِ . ثم اعطاهُ للمهندار وهذا تقدم ووضعهُ بين يدي السلطان فاخذهُ ونفض غلافهُ واعطاهُ لترجمانهِ الواقف بجانبهِ فقرأهُ هذا علناً باللغة اللاتينية ثم عاد فقرأهُ مترجماً باللغة العربية[1] ثم اشار السلطان الى مهمندارهِ ان يسأل السفير عن صحة الدوق وكان المهمندار يتلقى الاوامر والاسئلة من السلطان بصوت منخفض ثم يرجع ويقف امام السفير ويبلغهُ كلام السلطان بصوت طلق ولما انتهت المقابلة تراجع السفير اربع خطوات الى الوراء ووجههُ نحو السلطان ثم حنى رأسهُ كثيراً ولثم الارض وخرج وهكذا فعل رجال السفارة اتباعهُ

وعند وصولنا الى القصر امر في السفير ان آخذ الهدايا المرسلة من حكومة البندقية الى سلطان مصر وان اقدمها لهُ فحملها اتباعنا وخدمنا وصحبنا ترجماننا الدمشقي فلما بلغنا القلعة ادخلنا المهمندار مع الهدايا الى السلطان فوضعها الحمالون امامهُ وخرجوا فامر ان يوزع عليهم عشرون دوقة ذهب . فوقفت وعرضت الهدايا عليهِ الواحدة بعد الاخرى فامر نظرهُ عليها ثم امر ان تنقل الى داخل القصر . وكان السلطان واقفاً جالساً في ايوان مسقوف غير الايوان الذي استقبل فيه السفير وارضهُ مرصوفة بالفسيفساء الارجوانية اللون وقطع المرمر والحجارة النادرة وسقوفهُ مزينة بالنقوش والرسوم والازهار البديعة المذهبة . وكان السلطان جالساً امام احد النوافذ المطلة على الحديقة السلطانية . وكل الشبابيك مشبكة بعوارض من المعدن الابيض بدلاً من الحديد . وكان جالساً ويدهُ على وسادة طيها سيفهُ

(١) ان المكتب والرسائل الاصلية التي تبودلت بين دولة البندقية وسلطان مصر والخطاب الذي قاه يو السفير امامهُ والمحاضرات السلمية والتجارية بينها محفوظة كلها الى الآن في المكتبة الكبرى بباريس

وترسهُ وقدماهُ حافيتان. وعلى رأسهِ عمامة على شكل عمامة امير البحر في الاسكندرية ولكنها ليست بذات قرون

وكنت على بعد خطوتين منهُ اريهِ الهدايا فتجرأت على التفرس فيهِ خلسة حتى تنطبع صورتهُ في مخيلتي وانقلها بالرسم[1] فعلى وجههِ ملامح النبل والتحفظ والحذر والانفة وهو مهيب الطلعة في الستين من عمرهِ بلحية سوداء وخطها الشيب اسمر اللون بدين الجسم ربع القامة . هذا هو الملك الاشرف قانصوه الغوري سلطان مصر وسورية وما بين النهرين والبلاد العربية

ثم التفت نحو ترجماننا الدمشقي الواقف ورائي وقال لهُ باللغة العربية قل للحضرة السفير اني مسرور من هذه الهدايا وقد حازت عندي القبول غير اني مسررت اكثر بتعرفي بهِ فقد توسمت فيهِ التعقل والحكمة والرصانة وليس كغيرهِ من الشبان الذين يقبلون اليها وعقولهم في قبعاتهم لا في رؤوسهم. فلما فهمت هذا الكلام من الترجمان حنيت رأسي واستأذنت في الانصراف ولما وصلت الى قصر السفارة انيل ترجمان السلطان حاملاً عشرين دوقة ذهب وقسمها بيني وبين ترجماننا مكافأة لنا لتقديمنا الهدايا

هدايا حكومة البندقية الى السلطان

وهذا بيان الهدايا الثمينة التي قدمت للسلطان من قبل حكومة البندقية بواسطة السفير:

ثوب من القماش المنسوج بالذهب الخالص المموج بلون بنفسجي طولهُ اثنا عشر ذراعاً وكلفة كل ذراع منهُ ثلاثون دوقة ذهب . وثوب آخر من الجوخ المنسوج بالذهب المموج بلون قرمزي وطولهُ اثنا عشر ذراعاً . وثوبان من الجوخ المنسوج بالذهب لا نقوش فيهما . وثوبان من القماش المطرز بالذهب بلون احمر . وثوبان من الجوخ المذهب بلون اخضر . فجملة الاثواب المنسوجة بالذهب ثمانية . واربعة عشر ثوباً من المخمل الحريري مختلفة الالوان بين قرمزي واحمر واخضر وبنفسجي وفولي واصفر . وستة وعشرون ثوباً من الحرير مختلفة الالوان . وثوبان من الدمقس (داماس) صنع دمشق احدهما باللون الاسكندري (اصفر) والاخر باللون الفولي . وخمسون ثوباً من الحرير الوردي اللون المنسوج بالذهب . واربعة واربعون ثوباً من الحرير الاحمر الوردي اللون وثمانية اثواب بنفسجية فمجموع الاثواب والاقمشة كلها مائة وخمسون ثوباً

(١) هي الصورة التي صورها باغاتي سكرتير السفارة كاتب هذه الرحلة والمرسومة في المقالة السابقة

وثلاث حزم من اثمن انواع الفراء فيها مائة وعشرون فروًا واربعمائة جلد من فرو السمور . واربعة آلاف وخمسمائة جلد من الرق . وخمسون قالبًا من الجبن البندقي وزن كل قالب ثمانون رطلاً . وقيمة هذه الهدايا عشرة آلاف ذهب بندقي

المقابلة الثانية

وفي ١٢ منهُ ذهب السفير مع اتباعهِ لمقابلة السلطان المرة الثانية وكانت على هذا النمط : وصلنا الى ميدان القلعة حيث ملعب الخيل وبجانبهِ حديقة كبيرة غناء تدعى بستان السلطان في وسطها كشك مسند باعمدة من المرمر وارضهُ مرصوفة بالرخام وهذا الكشك قائم بين اشجار مثمرة يصعد اليهِ بدرجات من المرمر وتظلهُ العرائش والزهور وعلى توافذهِ ستائر حريرية تلطف حر الشمس . ورأينا على احد الاعمدة قفصًا مذهبًا بديع الصنع فيهِ طير صغير جميل الشكل يزقزق وكان السلطان متربعًا على مقعد وعلى يمينهِ وسادة فوقها سيفهُ وترسهُ . وعلى راسهِ عمامة مستطيلة ليس فيها قرون . وكان السفير متردياً بثوب من الديباج المنسوج بالذهب باكام ضيقة فلا دخل حتى راسهُ وقبل الارض كالعادة . وكنت مع ترجمانهِ واقفين عن يسارهِ ثم اقبل المهتدار وترجمان السلطان ووقفا عن يمينهِ وكانت هذه المقابلة ودية خصوصية لم يتكلم السفير في اثنائها عن شيء من شؤون مهمتهِ السياسية . فاظهر لهُ السلطان التلطف والايناس والاكرام وعند تمام المقابلة امر ان يتفرج على البستان فجلنا فيهِ مع المهتدار والترجمان وكان دليلنا رئيس البستانية . والحق يقال ان هذه الحديقة روضة غناء فيها من جميع الاشجار المثمرة بين برتقال وليمون وموز وتفاح واجاص وتين وعنب وتوت وحب الآس وغيرها من الاثمار الشهية وجميع انواع الزهور والرياحين الزكية الرائحة

زيارة الدوادار

ولما خرجنا من البستان ذهبنا لزيارة الدوادار وهو القابض الآن على زمام الحكم ودفة السياسة بعد السلطان ولما وصلنا الى قصرهِ استقبلنا بترحاب وبالغ في اكرام السفير وقدم له المشروبات في اقداح من الخزف الثمين فاخذ الدوادار القدح وشرب اولاً كما هي العادة وشرب السفير بعدهُ . ثم استأذن وخرج ورجع الى قصرهِ وهناك رأينا رئيس البستانية موفداً من قبل السلطان ومعهُ سلال كثيرة من الفاكهة والاثمار فاعطى السفير ان يعطي خمسة دوقات ذهب مكافأة

هدايا حكومة البندقية الى الحرم السلطاني

وعند الظهيرة اوفد السفير ترجمانهُ مع احد اتباعهِ الى القلعة لتقديم الهدايا الآتية الى زوجة السلطان وحرمهِ وهي عشرة اثواب من المخمل المذهب وهي من الحرير والقماش والجوخ وكلها منسوجة بالذهب الخالص على الوان مختلفة بين قرمزي واصفر وموردي واحمر وثلاثة اثواب من الحرير الرفيع الغالي الثمن صنع مدينة ريمس كلفة الذراع منهُ اربع دوقات ذهب. اما الهدايا المرسلة الى الدادار الكبير فسبعة اثواب ثمينة مختلفة القماش واللون وستة قوالب جبن بندقي وزن القالب اربعون رطلاً. واما الهدايا المرسلة الى المهمندار فخمسة اثواب حرير وقالبان من الجبن

زيارة ناظر الخاصة

وفي ٥ منهُ زار السفير الوزير العظيم ناظر الخاصة مدير الاملاك والخزانة السلطانية[1] ولما وصلنا الى قصره وجدنا عندهُ اربعة كتاب يلقب احدهم بالخواجه وبعض التجار وتاجر السلطان وهو وكيلهُ في جلب البضائع من الهند والشام وبيعها للتجار المصريين والاجانب على حساب سيدهِ وهو رجل اسرائيلي والتقينا هناك بالسر توماس كوتنار بني فنصلنا بالاسكندرية حضر مع بعض التجار البنادقة لتسوية بعض المسائل التجارية مع ناظر الخاصة وتاجر السلطان. وقدم الناظر للسفير حلويات ومشروبات مثلجة. ثم خرجنا من هناك وذهبنا لزيارة كاتب السر الشريف ومكثنا عندهُ نصف ساعة[2] ثم رجعنا الى قصر السفارة وبعد الغداء حضر احد رجال القصر السلطاني ليأخذ السفير ويريهُ بعض الآثار والغرائب. وقد اروانا هذا الرجل في حديقة السلطان حيوانات غريبة لم نرها قبلاً في بلادنا وهي زرافة كبيرة طولها ستة اذرع وفيل صغير يبلغ من العمر سنتين واسدان كبيران كان حارسهما يروضهما على العاب غريبة

دبتري نقولا

---

(١) كان هذا الوزير وقتئذٍ الامير علي بن احمد كما جاء في ابن اياس ومن وظائفهِ ادارة الاوقاف السلطانية (٢) وظيفة كاتب السر الشريف كانت عند سلاطين مصر من الوظائف الكبرى لكتابة وقراءة الرسائل السرية الخاصة بينهم وبين ملوك الافرنج وسلاطين الاتراك كما جاء في تاريخ سلاطين المماليك لكاترمير وكان كاتب سر السلطان وقتئذٍ محمود بن عجا الحلبي

الجامعة الالمانية

انشأ الاستاذ داود ستار جوردان رئيس جامعة ستراتفورد الشهيرة بكليفورنيا مقالة في هذا الموضوع نشرتها المجلة العلمية الشهرية وصف فيها الدعوة القائمة في بلاد الالمان باسم الجامعة الالمانية Alldeutschtum Verband فعربناها في ما يلي لاننا رأينا فيها اوضح شرح للاسباب التي دفعت الالمان الى هذه الحرب الضروس قال :

ان سكان المانيا فريقان فريق حسن النية سهل القياد عاكف على اعماله مدقق فيها. وفريق طماع مستبيح يزدري رأي الجمهور لانهُ يدّعي ان ليس للجمهور رأي ويثق باحكامهِ ثقة عمياء ويحاول اجبار الناس على الاخذ بها

والفريق الاول مقسوم الى اكثر من اثني عشر حزباً ولكنها متصفة كلها بالصفات المتقدمة وهي الصفات التي كان الناس يحبون بها ويتسبونها الى الامّة الالمانية جمعاء فيقولون انها امّة علم وصداقة وكفاءة . والفريق الثاني شديد العزم محب للانتقام معبودهُ الجامعة الالمانية . وما هذه الجامعة الاّ آراؤهُ واعمالهُ ومقاصدهُ فلا مشابهة بينها وبين الجامعة الاميركية والجامعة السلافية لانها حزب سياسي رجعي متغلغل والجامعتان الاخريان كلٌّ منهما خلاصة امانيّ البلاد التي هي فيها

الجامعة الالمانية تطلب من الشعب الالماني ان يبسط سيادتهُ الحكمة على العالم كله بدل السيادة الانكليزية التي يقول انها قائمة على اساس واهن . ووراء السيادة الالمانية هذه جماعة من التجار والاعيان والعظاميين ورجال الحرب واصحاب الاوهام والاماني وما منهم مَن يألف ان يأتي كل كبيرة اذا حسب ان من ورائها نفعاً لالمانيا . واركان الحرب الالماني ملتحمون من هؤلاء الناس اشد الالتحام وغير خاضعين للوزارات الالمانية

ومن اشهر الاقوال المعبّرة عن رأي اصحاب الجامعة الالمانية القول المنسوب الى الاستاذ فون ستخيل الذي قيل انهُ كان معارضاً لمؤتمر السلم ومحور من الوسائل التي يقصد منها الاتفاق العام . وحجتهُ في هذه المعارضة انهُ لا داعي لهذا الاتفاق بعدما تسلط المانيا على العالم وتلزم الناس باتباع مشيئتها . وممّا ينسب اليهِ قولهُ

« ان الشرط الوحيد للنجاح ولاسيما للامم الجايدة هو ان يخضعوا لمشيئتنا فاننا اذا سدنا العالم صارت القوانين الدولية فضلة زائدة لا داعي لها ولا فائدة منها لاننا نحن نمتّع كل احد بما يحق لهُ من تلقاء انفسنا »

ولا شبهة الآن ان اصحاب الجامعة الالمانية هم الذين اضرموا نار هذه الحرب وهم الذين كانوا سبب المباراة في التجنيد حتى بلغ الغاية القصوى وصارت به الحرب ضربة لازب . ولا شبهة ايضاً ان نجاح اوربا في المستقبل متوقف على المانيا فاذا استطاعت كبح جماح المنادين بالجامعة الالمانية من ابنائها نجت اوربا من شرها والاَّ فلا

ومعلوم ان العامة اذا قامت تطلب مساواتها بالخاصة الممتازة انتهستها الخاصة بانها تحب الانقسام ولا تراعي مصالح وطنها ولا تفضله على غيره من الاوطان . وذلك مشاهد في كل بلاد ولكنهُ بلغ الغاية القصوى في بلاد الالمان

وقد وضع اساس الجامعة الالمانية هذه في مدينة برلين في شهر ابريل سنة ١٨٩١ وكانت المانيا قد اعطت انكلترا جزيرة زنجبار واخذت منها جزيرة هليغولند وذلك في نوفمبر سنة ١٨٩٠ . وزنجبار مثل مفتاح لشرق افريقية ولها شأن كبير عند الحزب البريطاني الاستعماري . وهليغولند كانت مديناً صغيراً لا شأن لها عند الانكليز ولكن لها شأناً كبيراً عند الالمان في حماية ساحل المانيا وترعتها واسطولها . والامبراطور الحالي هو الذي سعى الى هذه المبادلة وقد خطَّاه الالمان حينئذٍ قائلين انهُ ضحَّى مصالحهم الاستعمارية لاجل جزيرة فائدتها محليَّة

وقد وقفت الجامعة الالمانية وقفة الخصم امام كل اتفاق دولي فشاذَّت الوزارات الالمانية كلها لانهُ ما من وزارة تستطيع ان تثبت من غير ان توافق وزارات سائر الدول في بعض الامور وكان مركزها بين الاشراف اصحاب الاطيان الواسعة واشتراك معهم محبو التوسع الامبراطوري والحزب الحربي والقائلون بالسياسة الخارجية الممتازة بالشدة والجبروت وبين هؤلاء ضباط الجيش اجمع وطائفة الاساقفة والنظارنة . ولقد احسن جون هيمن حيث قال ان الجيش هو ساعد الممتازين الايمن وخدَّمة الدين ساعدهم الايسر . وكان من اول زعماء خدمة الدين المؤيدين لها الكردينال بوب واسقف برسلو والكونت ستلبرج فرنجرود حاكم بروسيا الشرقية

وقد قال الاستاذ هرمن فرنان ان الذين نفخوا ببوق الحرب في المانيا بين الطبقات العليا هم الاقَّاقون ورجال الحرب واصحاب الجامعة الالمانية . واذا نظرنا الى هذه الجامعة والى جمعية البحرية وجمعية الدفاع ونحوها من الجمعيات وجدنا في المانيا اقواماً امتدت سلطتهم في البلاد كلها واعدَّتها لهذه الحرب التي يتوقع الالمان من وراثها ان يسودوا العالم اجمع

ولم تعلن اسماء الرؤساء الحقيقيين لهذه الجامعة ولكن يظهر ان رؤساءها العاملين كانوا

واما من قواد الجيش المتقاعدين وقد يكون بينهم بعض اساتذة المدارس مثل كارل هس واما الرئاسة الظاهرة فتكون لواحد من السكان احفاد لحنيفة ويتطبق ذلك على رئيسها الحالي هركلاس فانهُ ليس من ذوي الشأن في البلاد الالمانية

وكان عدد اعضائها ٢٠٠٠ سنة ١٨٩٧ و٢٢٠٠٠ سنة ١٩٠٢ ونحو ٣٠٠٠٠ سنة ١٩١٤ . ومنذ ١٢ سنة كان ٣٣٠٠ من اعضائها ساكنين في غير المانيا وبعضهم متحد رعوية البلاد التي هم فيها وبعضهم نزلاء فقط . وكان لها حينئذٍ ٢٣ فرعاً منها في البلدان الاجنبية وغرض اعضائها ان يحثوا كل الالمان المتغربين على خدمة الجامعة الالمانية

والقصد الذي جاهرت الجامعة بهِ هو ان تقوي الشعور الوطني وتقنع الالمان انهم قوة وجدت لتسود العالم وانهُ لا حرام ولا حلال اذا اعتبرت مصالح الدولة بل كل شيء محلل لها لانها فوق هذه القيود وهي غير مكلفة ان تخضع لاحد لانهُ لا قوة فوقها بل هي فوق الجميع . فلا بد اذاً من وجود دولة كبيرة سامية وان تكون من القوة بحيث تستطيع ان تجاهل توازن الدول ومن الحكمة بحيث تستحق ان تتسلط على الجميع

والاغراض التي ترمي اليها الجامعة الالمانية هي

اولاً ان يكون لالمانيا سياسة استعمارية قوية وان تعتمد شعبها في المهاجرة الى مستعمراتها

ثانياً ان توسع نطاق المدارس الالمانية في البلدان الاجنبية

ثالثاً ان تحيي الشعور الوطني وتميت كل الاميال المقاومة لهُ

رابعاً ان تجعل التعليم كلهُ يرمي الى غرض واحد وهو المصلحة الوطنية

خامساً ان تنمي وتقوي كل الاميال الوطنية بين الالمان في بلادهم وخارجها

سادساً ان تعمل عملاً سياسياً قوياً يراد بهِ تعزيز مصالح الالمان المالية في اوربا وفي سائر البلدان وتجعل مدار السياسة الخارجية مصالح الالمان المادية

ولا يراد بمصالح الالمان المادية مجد المانيا بل الغرض الذي لاجلهِ يُطلَب هذا المجد وهو المكسب المالي

وكانت الاعمال التي عملتها الجامعة اولاً موجهة بنوع خاص في ثلاث جهات

الاولى السعي في تقوية التجربة وقد نتج عن هذا السعي انشاء الجمعية البحرية والجمعية العسكرية

ثانياً شد ازر البوير زمن حرب الترنسفال فجمعت حينئذٍ خمس مئة الف مارك لهذا الغرض

ثالثاً مقاومة السياسة التي كان الكونت كبرنثي جارياً عليها لانها كانت سياسة مسالمة لاهالي بولندا

و يضاف الى ذلك اولاً سعي الامبراطور الى توحيد الشعوب الالمانية وثانياً اعتمام ملتكي بتعميق مصبات الانهر الالمانية الكبرى لتدخلها السفن الكبيرة

فنتج عن مساعي الجامعة الالمانية انها قوّت في المانيا الاميال والاعمال الآيلة الى التوسع في التملك والاكتساب والى زيادة النفقات الحربية . وقوّت خارج المانيا مصالح الالمان بالقاء النفور والعداء بين سائر الممالك وجعلت المانيا على تمام الاهبة لانتضاء الحسام في اي وقت كان حاسبة ذلك من اقوى دعائم مجدها والزم لوازم السياسة التي جعلتها مرعية الجانب تخافها الدول كلها او تكرهها

ومن الالفاظ المأثورة التي يتشدق بها رجال الجامعة الالمانية قولهم « مصالح العالم » « الاعمال الكبرى » « الحرب الكبرى » « الخطر السلافي » « التهديد الانكليزي » « الاحتكار البريطاني » « الانتقام الفرنسوي » . وكانوا يعبّرون عن اغراضهم الجغرافية بقولهم « برلين كالله » « برلين ربنا » « همبرج سلانيك » « همبرج بغداد خليج فارس »

والقياط المتقاعدون من خطباء الجامعة وتدور خطبهم على موضوع واحد وهو « عز الحرب وذل السلم » وما يترتّب على ذلك من لزوم الحرب لاجل تحقيق امالي المانيا في العالم

واقدر الناطقين في بوق الجامعة الالمانية والمعبرين عن افكارها الجنرال برنهاردي Bernhardi الذي كان من اركان الحرب . وكتاباتهُ وخطبهُ في المنزلة الاولى من الوضوح والافصاح والعداء لنوع الانسان . ولا محل لاطالة الكلام عليها هنا ولكن مفادها واحد وهو قولهُ « ان القوانين ليست الاّ واسطة للتسكين والعبرة كلها بالقوة القوانين للضعيف والقوة للقوي »

والجنرال فون كيم اشد من برنهاردي وطأة واكثر منهُ نثرة ولكنهُ اقل منهُ قوة في حججهِ وامثلاتهِ لطبعهِ وهو ايضاً من اعضاء اركان الحرب وقد طاف في المانيا كلها قبل سنة ١٩١٤ منبئاً بقرب نشوب الحرب وحاثّاً قومهُ على محاربة انكلترا وروسيا . ومن اقوالهِ المأثورة الدالة على منهاجهِ قولهُ

« ان السبيل للاتحاد الالماني والعظمة الالمانية لا يمهّد بالكتابة والطباعة وقرارات مجلس النواب بل بالسيف والدم . والممالك تحفظ بنفس الاسباب التي تنشأ بها ولذلك لا بدَّ لنا من جيش كبير واسطول عظيم . ولا تسع الدنيا الاّ للشعب الذي بُثَّ في نفسهِ

حب الحرب . فعلينا ان نقول لكل فتى ولكل فتاة من الالمان انهُ يجب علينا ان نبغض كل اعداء وطننا . فهيَّا بنا هيَّا بنا الى الحرب . يجب ان نربي انفسنا على البغض لنجرَّ من ورائهِ مغنمًا وكل من لا يبغض لغاية ما لا شأن لهُ وما بسهارك الاَّ عنوان البغض »

وقد خطب الاميرال بروسنغ من اعضاء اركان الحرب في بازل بسويسرا سنة ١٩١٣ فحدَّد الزمن الذي تعلن فيهِ المانيا الحرب وقال انهُ صيف سنة ١٩١٤ وهو الزمن الذي حددهُ برنهاردي ايضاً لاعلان الحرب . ووصف الاميرال بروسنغ خطة الاسطول الالماني بالتفصيل فقال انها تدور على ارهاق الاسطول البريطاني في وقائع صغيرة الى ان تأتي المعركة الكبرى وحينئذٍ يتغلب الاسطول الالماني على البريطاني بما امتاز بهِ من جودة مدافعهِ ومهارة بحَّارتهِ

والشعب الالماني لم يحكم نفسهُ بنفسهِ مطلقاً ومعلوم ان الشعب الذي لا يدير امورهُ بنفسهِ بل يوكل تدبيرها الى غيرهِ يحكمهُ غيرهُ وهذا ما تتوخاهُ الجامعة الالمانية

وقد قال بريلـفورد ان مهمة وزير المانيا ان يجعل نفسهُ آلة في يد غيرهِ . وكل وزير من وزراء الامبراطورية الالمانية من كبيرهم الى بتمن هلمج عاملهُ الجامعة الالمانية هذه المعاملة

واقوى الوزارات في كل بلاد اقدرها على الثبات في المحن الكبار ولكنها اذا لم يغل يديها مجلس النواب ولا القوانين والميزانيات كانت عرضة للدسائس الداخلية . ويقال ان اول ما يُطلب من الوزارة القوية هو ان تعنى بالمصالح الملكية والحربية والمالية ولكن تضارب هذه المصالح يخرِّب عظامها ويقوض اساسها . وما من وزارة تود ان تجعل سياستها في يد هذه المصالح ولكن مقدرتها على مقاومتها تضعف على نسبة ابتعادها عن الشعب

ولقد صارت الجامعة الالمانية مهيمنة على السياسة البروسية اي على السياسة الالمانية كلها لانها تعتمد على تحريك الاميال النفسية ولاسيما في ما يتعلَّق بالتفوق الالماني فتقدمت رويداً رويداً الى استخدام البلدان الضعيفة والدخول الى كل الاماكن بواسطة العمال الالمان وزيادة ثروة من عندها من الاشراف . وكانت الاراجيف الحربية من اقوى الوسائل التي لجأت اليها . الاَّ ان تعطرسها وازدراءها غيرها وتباهيها بقوتها الحربية وكفاءتها البحرية اضطرت الدول الاخرى الى اطراح ما بينهنَّ من المضاغنات والاتفاق على مقاومتها في سبيل الدفاع عن انفسهنَّ . ويمكن تحديد الجامعة الالمانية بانها وسيلة لنشر سطوة المانيا على قارة اوربا وسلطتها على المستعمرات وحمايتها على البلدان الكثيرة في اسيا وافريقية . وقد توسلت بوسائل مختلفة حتى صار لها اليد العليا في بلاط الامبراطور والدوائر الحربية وبين رجال

العز في المدارس والجامعات وصار لها ايضاً شأن كبير في الصحافة وتمكنت بواسطة وزارة المعارف من ابعاد الطلبة الذين يبلهم جمهوري عن تولي مناصب التدريس وتنصيب الذين يؤيدون اغراضها اساتذة للتاريخ والعلوم السياسية. فهي لسان حال الذين يكرهون الحرية في المانيا سياسياً وحرياً واجتماعياً وحسبهم الحصين ولها اليد الطولى في جعل الحكومة الالمانية شركة تجارية غرضها الكسب المالي واعطاء اعضائها الاعانات المالية على اساليب مختلفة. وهم يستغنون بعالم حتى يتألوا منهم اكثر ما يمكن من العمل باقل ما يمكن من النفقة. وقد تدرَّب الشعب الالماني بواسطتها تدريباً ينفي الاستقلال الذاتي ويغرس مكانهُ الطاعة والانقياد لما يؤمر به فصارت المانيا بها مملكة قوية متحدة ترمي الى اجبار الممالك المجاورة او الخاضعة لها على مسالمتها بما تراهُ فيها من القوة والتحفز للقتال والتفوُّق في الاعمال الصناعية والحربية والاتحاد في انجاز المقاصد المبني على كون حكم البلاد استبدادياً لا دستورياً. وعندهم ان الفائدة التي يجنيها سائر العالم من السيطرة الالمانية تفوق الحزن والخراب اللذين قد يحدثان حينما تنتشر اساليب الالمان فيهِ. وتفوُّق الالمان يكسبهم قوة لا ينازعون فيها فان القوة توجب الحاجة والحاجة اساس الحق

ان مساعي الجامعة الالمانية تدلُّ على الحالة التي كانت فيها المانيا حينما نشبت الحرب. فان الامة الالمانية كانت قد صارت بمثابة شركة صناعية تجارية كبيرة استخدمت كل قواها الداخلية والخارجية لانجاح فريق من اصحاب الاملاك والمعامل والمتاجر والاموال. والى هذا الغرض اتجهت كل موارد البلاد وكل الميات والمساعدات التي مكنتها من مزاحمة التجار الاجانب وبيع البضائع في اسواق العالم باقل من ثمنها الاصلي والاهتمام بالعمال ومنع كل شكوى تبدو منهم ولو بالقوة وقمع كل ثورة فكرية يقصد بها اطلاق الحرية. وقد بني هذا النظام على استقراض الاموال من البلدان الاجنبية للقيام بنفقاتهِ الباهظة ولذلك كان لا بدَّ من ان ينقوض من اساسهِ وقتاً ما فوقعت هذه الحرب لتقويضهِ

وهذه السياسة المالية الخفاء كان لها مثيل في بلدان اخرى ولكن ما من بلاد تضافرت فيها كل القوى على تأييدها وخضعت لها حكومة البلاد كما تضافرت في المانيا وخضعت لها حكومتها

ولم يكن الشعب الالماني يعنى بمساعي هذه الجامعة قبل الحرب الاَّ قليلاً فلما كنتُ في باڤاريا سنة ١٩١٣ اوصف لي برنهاردي بانهُ «ضابط نافع على الحكومة لانهُ حُرم من الترقي» ولم يكن جمهور المثقفين يهتم بهِ ولا بكتابهِ الذي عنوانهُ «المانيا والحرب المقبلة» وكانت

البلاد في فلاح ورخاء وسكينة لا تشكو الا مما قد ينالها من مزاحمة تجار الانكليز لتجارها في انكلترا وتهديد اعدائها لها في فرنسا وروسيا . والامبراطور وهو من المحبين للتباهي بالمظاهرات الحربية وباظهار القوة لم يكن يرغب في دخول الحرب فعلاً ووزير الامبراطورية ووزير الخارجية كانا من محبي السلام وكان المشهور حينئذ ان اصحاب الجامعة الالمانية حفنة من الرجال اصحاب الاوهام الذين يحلمون بالتسلط على العالم وقلما يستحقون ان يعنى بامرهم وما اعمالهم الا من قبيل ما يجري عادة ولكن خفي على الذين كانوا يظنون هذا الظن ان ما كان يجري حينئذ انما هو من افعال هذه الجامعة فان كل عمل عدائي عملهُ الالمان كانت الجامعة المحركة لهُ والدافعة اليهِ . قال كرت ايسنر « ان فعل رجال الجامعة الالمانية في تكييف سياسة البلاد كان اقوى من فعل اعظم الشركات المؤلفة من كبار المالكين وكبار الماليين ولو اجتمعت كلها معاً . ولقد حُرِّضت الحكومة دائماً على رجال الجامعة لكي تكبح جماحهم لكن رأس الحكومة تدرَّج في النسج على منوالهم حتى صار منهم وذلك لان الحكومة انقادت دائماً الى ما كانت تقاومهُ في اول الامر لانها اضطرت ان تجاري الرأي العام الذي هو صدى ما يقولهُ اهل السيادة في برلين . وكل المشروعات الحربية من اول مشروع لزيادة الاسطول الى آخر مشروع للدفاع الوطني وضعت في دوائر هذه الجامعة . والغرض الذي ترمي اليهِ الجامعة امتلاك المستعمرات الكبيرة حيث يستطيع الالمان ان يسكنوا ويستغلوا الارض ويستخرجوا منها المواد اللازمة لصناعتنا ويتمكنوا من بيع مصنوعاتنا . اي حيث يكون لبضائعنا سوق لا يزاحمنا فيها مزاحم . هذه هي الامنية التي يتمناها اصحاب تجارة الصادرات

« ولا تنال هذه المستعمرات حسب رأي الجامعة الا بتقوية مركز الامبراطورية الحربي في اوربا ولذلك تدعو الحال الى فرض الخدمة العسكرية على كل احد والى فتح اوسع الابواب لانشاء الاساطيل الحربية وايجاد الاماكن الصالحة للوقوف فيها ولتجهيزها بما تحتاج اليهِ من الفحم

« وزد على ذلك ان جماعة المتعلمين يعاونون الجامعة وهم سطوة نافذة في كل مكان لانهم اكثروا من الاسفار ووقفوا على امور كثيرة يسهل عليهم نشرها في الجرائد والاحتجاج بها كلما دارت المناقشات السياسية فيؤخذ الجمهور بها على غرة وينقاد اليها ولا سيما اذا حدثت حوادث تؤيدهم وظهر ان حدوثها جاء اتفاقاً مع ان الجامعة تكون قد اشتغلت منذ سنين في إعدادها »

ستأتي البقية

أيام الحسوم وبرد العجوز

بحث تاريخي لغوي

يجد الناس في التقاويم المصرية تسمية ثمانية ايام من اول برمهات الى آخر الثامن منهُ باسم ايام الحسوم وبرد العجوز . وهم يتطيرون من هذه التسمية كما يعتقدون باشتداد البرد والزمهرير في تلك الايام مع ما سبقها من اعتدال الجوّ او اشتداد الحرّ في بعض الاحيان . ثم يتساوى الليل والنهار بعد ١٣ برمهات بنزول الشمس الكبيرة و يعقب ذلك دخول الربيع بعد زوابع انتقالها الى برج الحمل وطول الاعتدال الربيعي . وقد اهتمّ الباحثون بمعرفة اصل هذه التسمية فمنهم من نسبها الى المصريين القدماء ومنهم من نسبها الى غيرهم وقد اثبت الاثريون والمنقبون ان التقويم المصري الفرعوني لم يتغير عن وضعه القديم فالاشهر القبطية والسنة القبطية بقيت وتبقى حافظة للتقاليد السنة الفرعونية والتقاويم الفرعونية بغير تبديل عما نقش في منطقة فلك البروج على جدران الهياكل المصرية بدندره ومدينة هابو وادفو

ومن المعلوم ان التقويم الفرعوني المصري هو الذي حافظ عليهِ الاقباط للاستعانة بهِ في الاعمال الزراعية ورخّص لهُ الفاتحون فاتبعوهُ لان قوامهُ الحساب الشمسي الذي لا يتغير وقد جرت الاعمال عليهِ من عهد الفتح العربي الى الآن . فاذا وردت في التقاويم الحالية عبارة ما لم تكن واردة من قبل في التقاويم القديمة الفرعونية وجب البحث في مصدرها كمدة ايام الحسوم وبرد العجوز وكيفية تحديدها . والراجح ان هذا التحديد حادث على التقويم المصري الفرعوني ولعلي لا اخطئ اذا قلت ان تسميتها بايام الحسوم حدثت بعد الفتح العربي بناء على ما ذكر في الآيتين السادسة والسابعة من سورة الحاقة « اما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليالٍ وثمانية ايام حسوماً » قرآن كريم

فيحسن الرجوع الى تحليل الالفاظ والاستدلال من قواميس اللغة وكتب التفسير لرد الشيء الى اصله اذ البحث تاريخي لغوي بقدر ما يمكن لمعرفة سبب تسمية هذه المدة بايام الحسوم او برد العجوز [1] المعروفة عند العامة من المصريين والخاصة على السواء ووقوع البرد الشديد فيها . وقد لفقوا محاورة تدور عليها بين شهري امشير وبرمهات اذ

---

(١) قال سعادة احمد زكي باشا في المحفلية التي اقامها في مؤتمر المستشرقين بلندن في ٨ سبتمبر سنة ١٨٩٢ ان الازدي نظم قصيدة ذكرت فيها كلمة عجوز الشتاء وستأتي مع اختلاف المعاني وقد شرحها ابو حيان واضاف اليها ١٣ معنى جديداً فيكون لكلمة عجوز خمسة وسبعون معنى

بقولهم اشهر لبرهات اربعة مني حد واربعة منك هات فطير العجوزة بين الفكات وهذه الايام الثانية قد حددها البيضاوي المشهور في تفسيره سورة الحاقة (٦٩ : ٦و٧) بانها من صبيحة يوم اربعاء الى غروب يوم الاربعاء الآخر قال بالحرف

« واما عاد فأهلكوا بريح صرصر اي شديدة الصوت او البرد من الصر او الصرة عاتية شديدة العصف كأنها عتت على خزانها فلم يستطيعوا ضبطها او على عاد فلم يقدروا على ردها . سخرها عليهم سلطها عليهم بقدرته وهو استئناف اوصفة جيء به لبيان ما يفهم من انها كانت اعصالات فلكية اذ لو كانت لكان هو المقدر لها والمسبب سبع ليال وثمانية ايام حسوماً بتتابعات جمع حاسم من حسمت كل خير واستأصلت او قاطعات قطعت دابرهم ويجوز ان يكون مصدراً منتصباً على العلة بمعنى قطعاً او المصدر لفعله المقدر حالاً اي تحسمهم حسوماً ويؤيده القراءة بالفتح وهي كانت ايام العجوز من صبيحة اربعاء الى غروب الاربعاء الاخر وانما سميت عجوزاً لانها عجز للشتاء او لان عجوزاً من عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح في الثامن فاهلكتها » اه

وجاء في الجزء السابع من لسان العرب وجه ٣٣٨ في فصل العين حرف الزاي (عجز) وايام العجوز عند العرب خمسة ايام صِنٌّ وصِنَّبْرٌ وأُخَيُّها ويُرٌ ومُطْفِئُ الجمر ومُكْفِئُ الظعن قال ابن كناسة هي من نوء الصرفة وقال ابو الهوش هي سبعة ايام وانشد لابن احمر

كُمِع الشتاء بسبعة غُبْرٍ صِنٌّ وصِنَّبْرٌ مع الوبْرِ
وبآمرٍ واخيه موءِمٍ ـــــر ومُعَلِّلٍ ومطفِّئ الجمْرِ
فاذا انقضت ايامُها وخت ايام شهلتنا (١) من الشهرِ
ذهب الشتاء مولياً عجلاً وأتتك واقدةٌ من الغبرِ (٢)

قال ابن بري هذه الابيات ليست لابن احمر وانما هي لابي شبل الاعرابي كذا ذكره ثعلب عن ابن الاعرابي اه

اما سبب التسمية وعدد الايام فقد اختلفت فيها الروايات نذكر اشهرها فالعامة لا يقولون ايام العجوز بل برد العجوز والمشهور على السنتهم ان عجوزاً كان لها سبعة اولاد فمن شدة برد تلك الايام مات لها في كل ليلة ولد فما انقضت تلك الليالي الا وقد ماتوا فسميت تلك الاوقات عند طولها في كل سنة ببرد العجوز

(١) المراد بالشهلة العجوز (٢) وبالغبر اول الشهر

ولذلك وضعوا جملة على لسان شهري اشير و برمهات تفيد ان الاربعة الايام الخيرة من اشير ومثلها من برمهات هي من اخس ايام الشتاء خصوصاً للعجوز ويقال ايضاً ثلاثة مني خذ وثلاثة منك هات لا تخلي الرابطات ولا الجايات

وقد زادوا في عددها فيما ان كانت خمسة او ستة او سبعة او ثمانية كما تقدم جاء في رواية انها زادت الى العشرين وعليه قولهم :

اشير يقول لبرمهات عشرة مني خذ عشرة منك هات نطير العجوزة بين السفكات

على ان التقاويم كلها تعين ايام الحسوم الثانية من اول برمهات الى الثامن منهُ بلا اشتراك بينهُ وبين اشير وبعضهم يعينها سبعة ايام فيه

وجاء في الجزء الخامس عشر من لسان العرب صحيفة ٣٤ فصل الحاء حرف الميم في مادة حسم ما يأتي :

« والحسوم الشؤم و ايام حسوم وصفت بالمصدر لقطع الخير او تمحهُ وقد تضاف والصفة اعلى وفي التنزيل « سخرها عليهم سبع ليالٍ وثمانية ايام حسوماً » وقيل الايام الحسوم الدائمة في الشر خاصة وعلى هذا فسر بعضهم هذه الآية التي تلوناها وقيل هي المتوالية قال ابن سيده واراهُ المتوالية في الشر خاصة . قال الفراء الحسوم التتابع اذا تتابع الشيء فلم ينقطع اولهُ عن آخره قيل لهُ حسوم وقال ابن عرفه في قوله « ثمانية ايام حسوماً » اي متتابعة قال ابو منصور اراد متتابعة لم يقطع اولهُ عن آخره كما يتابع الكي على المقطوع لتحسم دمهُ اي يقطعهُ ثم قيل لكل شيء تتابع حاسم وجمعهُ حسوم مثل شاهد وشهود و يقال اقطعوهُ ثم احسموهُ اي اقطعوا عنهُ الدم بالكي . والحسم كي العرق بالنار . وفي حديث سعد انهُ كواه في اكحله (عرق في الذراع) ثم حسمهُ اي قطع الدم عنهُ بالكي . الجوهري

« و يقال الليالي الحسوم لانها تحسم الخير عن اهلها قيل انهُ أُخذ من حسم الداء اذا كوي صاحبهُ لانهُ يحسى بكوى بالمكواة ثم يتابع ذلك عليهِ وقال الزجاج الذي توجبهُ اللغة في معنى قولهِ حسوماً اي تحسمهم حسوماً اي تذهبهم تفنيهم . قال الازهري وهذا كقولهِ عز وعلا فقطع دابر القوم الذين ظلموا

« وقال يونس الحسوم يورث الحشوم وقال الحسوم الدووب قال والحشوم الاعياء . و يقال هذه ليالي الحسوم تحسم الخير عن اهلها كما حسم عن عاد في قوله عز وجل « ثمانية ايام حسوماً » اي شؤماً عليهم ونحساً » اه

والعامة ينعتون تلك الايام بايام النحس وقد يجمعونها بقولهم ايام الحسومات باعتبار لفظ حسوم فرد وحسومات جمعها

ومرى الاعتقاد عند العامة بشؤم تلك الايام وان من تحمل فيها تلد ولداً غريب الصورة في الخلقة مشوهها او يعدّ من عجائب المخلوقات لمخالفة للوالد العادية فيقولون هذا من اولاد الحسومات

وجاء في الجزء الثامن من تفسير الرازي صفحة ٢٨٠ و ٢٨١

وردت في تفسير الآية « وسخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوماً » قال مقاتل سلطها عليهم وقال الزجاج اقامها عليهم وقال آخرون ارسلها عليهم

« هذه هي الالفاظ المنقولة عن المفسرين وعندي ان فيه لطيفة وذلك لان من الناس من قال ان تلك الرياح انما اشتدت لان اتصالاً فلكياً نجومياً اقتضى ذلك فقوله سخرها فيه اشارة الى نفي ذلك المذهب وبيان ذلك انما حصل بتدبير الله وقدرته فانهُ لولا هذه الدقيقة لما حصل منهُ التخويف والتحذير عن العقاب وقولهُ

« واختلفوا في الحسوم على وجوه : احدها وهو قول الاكثرين حسوماً اي متتابعة اي هذه الايام تتابعت عليهم بالريح المهلكة فلم يكن فيها فتور ولا انقطاع وعلى هذا القول حسوم جمع حاسم كشهود وقعود ومعنى الحسر في اللغة القطع يقال حسمت الداء اذا قطعته ومنه السيف حسام لانهُ يحسم العدو عما يريد من بلوغ عداوته فلما كانت تلك الرياح متتابعة فاسكنت ساعة حتى اثرت عليهم اشبه تتابعها عليهم تتابع فعل الحاسم في اعادة الكي على الداء كرة بعد اخرى حتى يحسم

« ثانيها ان تلك الرياح حسمت كل خير واستأصلت كل بركة فكانت حسوماً او حسمتهم فلم يبقَ منهم احد فالحسوم على هذين القولين جمع حاسم

« ثالثها ان يكون الحسوم مصدراً كالشكور والكفور وعلى هذا التقدير فاما ان ينتصب بفعلهِ مضمراً والتقدير يحسم حسوماً يعني استأصل استئصالاً او يكون صفة كقولك ذا حسوم او يكون مفعولاً لهُ اي سخرها عليهم للاستئصال . وقرأ السري حسوماً بالفتح حالاً من الريح اي سخرها عليهم مستأصلة وقيل هي ايام العجوز وانما سميت بايام العجوز لان عجوزاً من عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح في اليوم الثامن فاهلكتها وقيل هي ايام العجز وهي آخر الشتاء » اه

ولحضرة السيد بك عزمي كتاب عنوانهُ الكنوز الذهبية في الزراعة العملية المصرية جاء في فصل مواسم الزراعة ما يأتي : « ومعلوم ان كل مزارع يلزمهُ قبل كل شيء معرفة اوان الزراعة ومواسمها في الاشهر القبطية وتواريخ العادات المصرية القديمة فنقول

بغاية الايجاز بدون تعرض للاسباب التاريخية خشية الخروج عن مواضيع كتابنا

« الحسوم وبرد العجوز تبتدئ من اول شهر برمهات الموافق ١ مارس او ١٢ منهُ في الغالب وتنتهي في يوم ٧ برمهات (١٦ او ١٧ مارس) وقيل ان سبب تسمية هذه الايام بايام العجوز ان امرأة عجوزاً من الاعراب كانت تنصح قومها بتجنب جز اغنامهم قبل هذه الايام فعصوها فجاءت بعض السنين ببرد شديد فماتت جميع اغنام القوم الاَّ اغنام العجوز فانها بقيت سالمة لاحتمالها متاومة شدة البرد بواسطة وقايتها باغطيتها الطبيعية (اصوافها واشعارها) ولذلك نسبت لها هذه الايام » اه

وفي الشام ان ايام العجوز سبعة تأتي في آخر الشتاء و يشتد فيها البرد وهي ثلاثة من آخر شباط واربعة من اول اذار و اسمها العامة بالمستقرضات ولذلك لفقوا حديثاً جرى بين الشهرين المذكورين وهو :

« آذار يقول لشباط يا شباط يا ابن عمي ثلاثة منك واربعة مني تناخدا العجوز ودولابها »

وقد جاء في المقامة الخزرجية في مجمع البحرين ٦ : ١٣٦ : ايام برد العجوز هي الايام السبعة التي بين اواخر شباط واوائل آذار والعامة تقول لها المستقرضات وهي

الصنُّ والصنَّبرُ ثم الوبرُ و بعدهُ الآمرُ والمؤتمرُ
كذا معللٌ ومعاني الجمر هاتيك ايام العجوز غادرِ

وفي عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني صحيفة ٧٣ و ٧٤ « وفي السادس والعشرين من شباط اول ايام العجوز وايام العجوز سبعة ايام ثلاثة من شباط واربعة من آذار قيل انما سميت ايام العجوز لان الله تعالى اهلك قوم عاد في هذه الايام فتخلفت منهم عجوز كانت تنوح عليهم كل سنة في هذه الايام . فهذه الايام لا تخلو من برد او رياح او كدورة فذهب بعضهم الى انها من الامور الطبيعية وان البرد يشتد في آخر الشتاء كما ان الحر يشتد في آخر الصيف وذلك يجري مجرى السراج الذي فتيلته رطبة فان عند انطفائه يشتد ضوؤهُ دفعات . وفي الربيع من آذار آخر ايام العجوز » وذهب بعضهم الى انها انما سميت ايام العجوز لان عجوزاً كاهنة من العرب اخبرت قومها ببرد شديد في آخر الشتاء يسره الثرى على المواشي فلم يكترثوا بقولها وجزّوا اغنامهم واثقين باقبال الربيع فاذا هم ببردٍ شديد اهلك الزرع والضرع فنسبوا تلك الايام اليها » انتهى

توفيق اسكاروس
بدار الكتب السلطانية

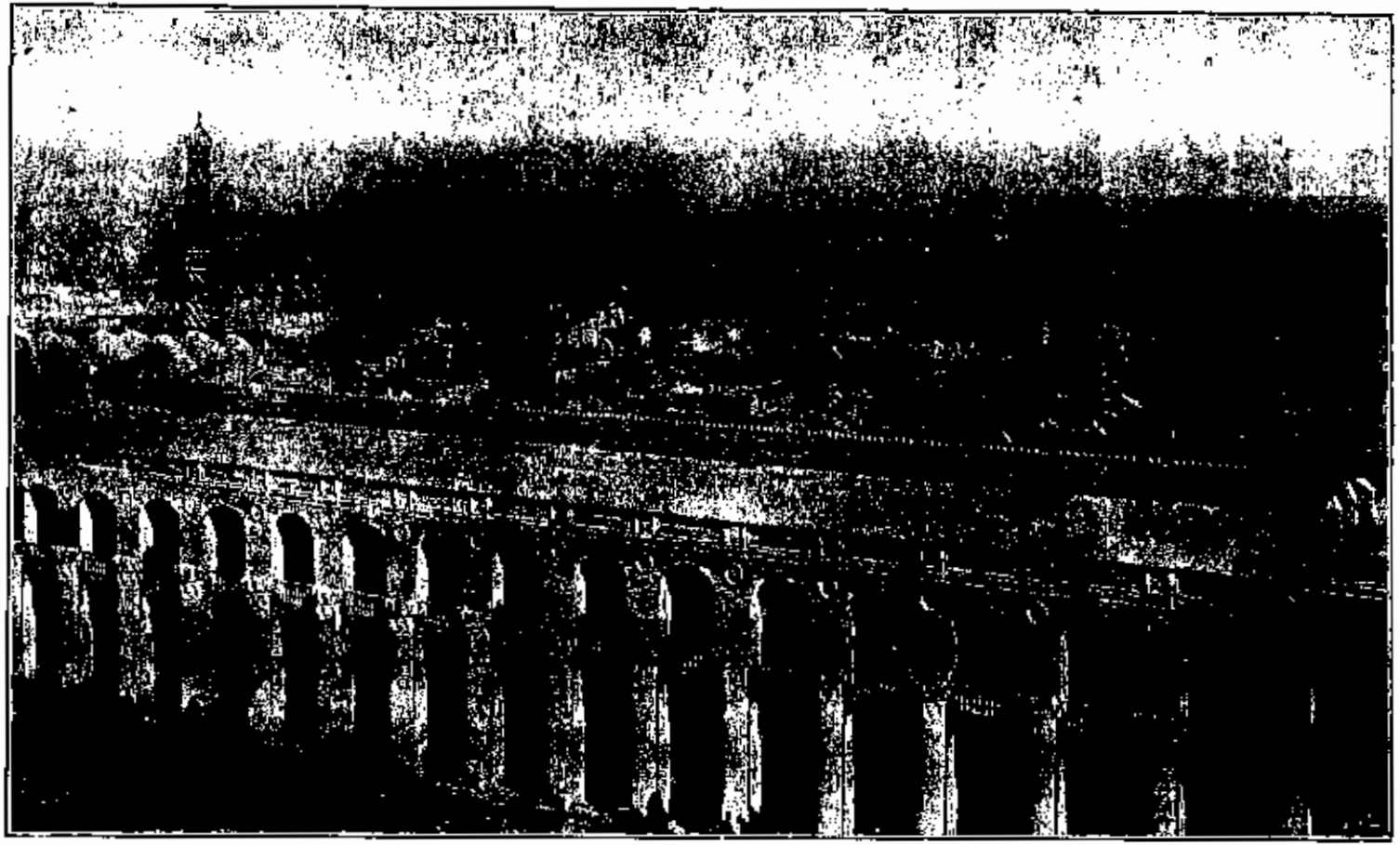

منظر مدينة بغداد من التكنات العثمانية

مقتطف ابريل ١٩١٧

امام الصفحة ٣٧٣

بغداد الحاضرة

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامرُ
بلى نحن كنا اهلها فأبادنا صروف الليالي والجدود العواثرُ

لا اخوض في تاريخ بغداد من اول امرها فان هذا قد تكفلت به الكتب وانما اريد ان اقول كلمة عن بغداد الحاضرة وارانى اولى بهذه الكلمة لان بغداد وطني وفيها نشأت . ولما رأيت كثيراً من الفضلاء يسألني عنها وعن الباقي من اثارها عزمت ان اكتب عنها شيئاً يغنيهم عن سؤالي ولست بعيد العهد عن وطني فقد خرجت منهُ اوائل سنة ١٩١٤

تقسيم بغداد

تنقسم بغداد الى جانبين شهيرين الجانب الشرقي وهو جانب الرصافة وهو الآن اعظم قسميها واهم في نظر اهلها والجانب الغربي وهو جانب الكرخ وهو اصغر من الاول واقل سكاناً واهلهُ من ابناء بغداد الاصليين لم يتبدلوا ولم يختلطوا بغيرهم وكلهم عرب مسلمون . وجانب الرصافة غالب اهلهِ من العرب البغداديين وفيهم لفيف من العجم الفرس والكرد والهنود والقرنجة وفيه بقية من بقايا التتر قوم هولاكو تسميهم العامة الكرد الفيلية . والقاسم لبغداد نهر دجلة يخترقها فيجري بين جانبيها كل جانب مطل على النهر بإطلال الجيزة على النيل الاعظم الا انهُ ليس هناك شارع يفصل بين القصور والمنازل وبين ضفة النهر ولكن الماء يتصل باسافل المباني فيستقي اهلها الماء بالدلاء والآلات الرافعة ويهبطون صلالم ينزلون بها الى شط النهر وقد تهم الحكومة بفتح شارع يمتد على الضفتين . والموصل بين الجانبين جسر خشبي مبني على نحو عشرين سفينة بين كل سفينتين ثلاثة امتار او اكثر وهذه السفينة يسميها العامة (جَسْتارية) . واذا طغت دجلة لا يقوى على تيار الماء فيناق ايام الفيضان وربما يفاجئهُ الماء فيتحطم ويغرق بعض سفنهِ او تنقطع حباله فيجرفه به الماء . وقد تطول ايام الفيضان فتقطع المواصلات بين الجانبين وتتأخر المسائل الكثيرة فعند ذلك يعبر النهر بالزوارق والقفف (جمع القفة) والعامة ينطقون القاف كالجيم المصرية او الكاف الفارسية . وهذه القفف مما يختص العراقيون باستعماله فيقلون عليها الحبوب ويعبرون الانهار وهي صغيرة وكبيرة تحمل الصغيرة عشرة رجال والكبيرة نحو خمسين او ستين رجلاً وقد يغلب عليها الماء فتغرق او تصطدم بشيء فتتحطم ولهذا يمتنع الناس عن ركوبها الا من كان لهُ امر ذو بال فيركبها تحت رحمة القدر . وهي ذات شكل مستدير

تنسج من اعواد شجر الرمان والخوص والحلفاء ويطلى ظاهرها وباطنها بالقار (الزفت) وظاهرها اكثر طلاء . تصنع في ايام الصيف والحرك لها رجل او رجال يحركونها بجداف يدفعون به الماء مرة عن يمينهم ومرة عن شمائلهم ويسمون الجداف (غرافة) واذا اجتمع فيها جماعة من الصراة يحدف قسم منهم يميناً وآخر شمالاً فتسير سيراً بطيئاً وهذه القفف احد المواريث التي ورثها القوم عن آبائهم البابليين والكلدانيين فقد كانوا يستعملونها ووجدت مرسومة على بعض آثارهم

جانب الرصافة

كان هذا الجانب داراً للحكومة العباسية ولا يزال الى اليوم محلاً للحكومة . فيهِ ثكناتها العسكرية ومجلس الولاية ودائرة البلدية ودائرة المعارف والحسبة والمحاكم وغيرها من المحلات الرسمية . وفيهِ مدارس الحكومة العالية والابتدائية والثانوية كمدرسة الحقوق ومدرسة الملين والمدرسة السلطانية والمدرسة الحربية ومدارس اخرى سنذكرها في غير هذا المجال وفيهِ جميع المحالّ التابعة للحكومة كمخبز الجيش ومصنع النعال والمنسوجات العسكرية وهذان الاخيران يعرفان (بالدباغخانه والصاغخانه) الاول مصنع لدبغ الجلود والثاني لنسج الملابس وصناعة النعال وهما محلان مهمان يمدان الجيش بما يحتاج اليهِ من اللبوس وهناك محلات غير هذه . لهذا نال جانب الرصافة قسطاً من اهتمام الحكومة لم ينلهُ الجانب الغربي . وسوق التجارة فيهِ نائقة من كل تجارة تستبضع من الهند وفارس واوربا والشام والصين الاّ اتجارات الوطنية فان الكرخ يشركهُ في غالبها . وقد اخذ هذا الجانب بعمر لكثرة تردد الاجانب اليهِ ومكثهم فيهِ وكل معتقدي الدول لهم فيهِ قصور عالية منهم من اتخذ لهُ قصراً على ضفة دجلة كالنكليز والمانيا ومنهم من لهُ في الداخل مبانٍ فخمة تجتذب الانظار

وقد فتحت فيهِ بعض طرق متسعة وطليت ارضها بالزفت على نحو ما يرى في طرق القاهرة وفي هذه المدة جاءت الاخبار ان الحكومة العثمانية فتحت شوارع عامة في الرصافة عرض الشارع من ١٠ الى ١٦ متراً وكان المرحوم ناظم باشا فتح فيهِ شارعاً يخترق الرصافة طولاً ففي الاخير خرقت الحكومة طريقاً آخر يقطعها طولاً رأسهُ من الميدان ونهايتهُ الباب الشرقي وشقت خمسة شوارع تقطعهُ عرضاً الاول رأسهُ من الميدان والثاني اولهُ من الاكمكخانه والثالث مبدأهُ من المصبغة والرابع من رأس القرية والخامس من جهة المتولي (انظر خارطة بغداد) ٥

وفي هذا الجانب آثار عظيمة للعباسيين مساجد ومدارس واطلال منازل وقد بدلت

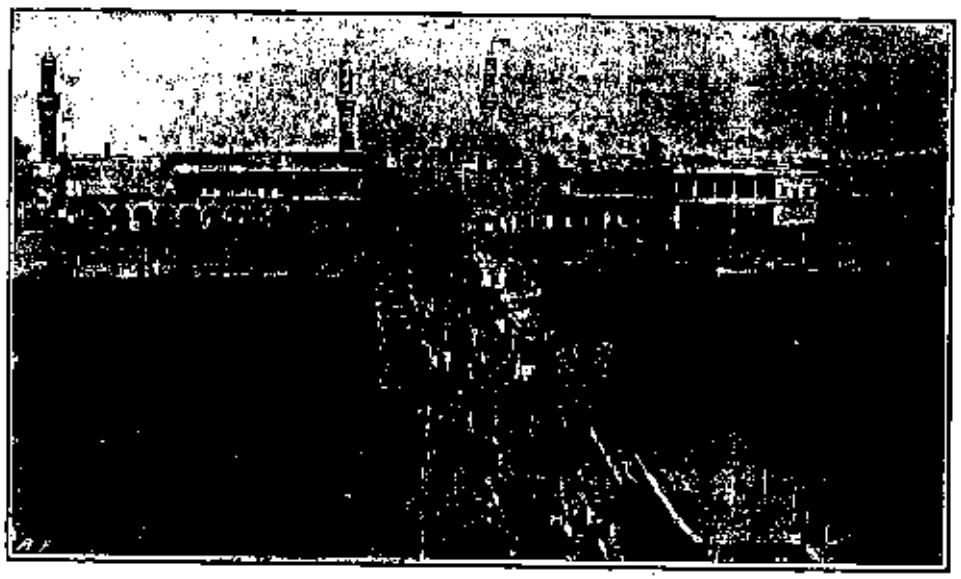

كبري (جسر) السفن الذي تعبر عليه دجلة

مقتطف ابريل ١٩١٧

امام الصفحة ٣٧٤

اسماؤها باسماء جديدة تغلب عليها العجمة وكذلك اسماء الشوارع والاسواق والجوامع والمدارس بدلت باسماء غير الاسماء التي كانت تعرف بها في العصر العباسي ولهذه الآثار باب خاص بها

جانب الكرخ

في هذا الجانب انشأ امير المؤمنين ابو جعفر المنصور مدينة سنة ١٣٣ وبنى فيه دار الخلافة وبيوت العائلة العباسية ولقد بقي فيه آثار تدل على ما كان لهُ من الشأن في ذلك العهد المجيد وقد اصبح اليوم خرائب بالية وبيوتاً حقيرة تغيرت منهُ الرسوم وتهدمت القصور ودثرت المعالم وتبعثرت المنازل ومحيت الآثار وفي عمرانهُ فلو رآهُ ابو جعفر لانكرهُ ولو بعث الرشيد لقال ما هذه الخربات الخاوية وما هذه الدور البالية

ولم يبق من الكرخ الذي كان في ايام الخلافة العربية الاَّ هذا الجزء الحقير الذي يسميهِ العامة (صوب عقيل) وقد نسيت اسماء طرقهِ واسواقهِ وبدلت باسماء جديدة كما حدث في جانب الرصافة. وآخر ما بدل منها محلة كانت تسمى محلة العباسيين فسميت بمحلة سوق الجديد الى ذلك كان نحو سنة ١٨٩٥ م ولقد امرت الحكومة بتبديلهِ في هذا العهد وهي بهمها محو الآثار وتغييرها وقد فعلت هذا في كثير من الاطلال والرسوم العباسية في بغداد وغيرها

ولقد يكون لهذا الجانب عهد جديد في العمران والتقدم فان الحكومة تهتم بهِ فقد فتحت فيهِ سنة ١٩١٣ شعبة للبرق والبريد ولم يكن فيهِ برق وبريد بل كانا في جانب الرصافة فقط. والذي جعل الحكومة تهتمُّ بهِ ان محطة السكة البغدادية واقعة في جنوبهِ فانها اقيمت في المحلة المعروفة (بالكرّادة) امام اثر عباسي على ضفة النهر يعرف بالسن ولقد بنى الالمان هناك المباني الجميلة من قصور ومنازل وفنادق ومحلات لموظفي السكة ونظارها وكانوا سنة ١٩٠٤ يحفرون ميناء للبواخر النهرية التي تسير بين البصرة وبغداد على مقربة من المحطة وكانوا مسرعين في عمران تلك الجهة بالحفر والدفن والبناء وانشاء القناطر والجسور وسد المنافذ التي تفيض منها المياه اذا طغت دجلة وكان هذا الجانب قبل ذلك تحيط بهِ المياه كل سنة في مواسم الفيضان وفي بعض السنين تغرق الحقول والجنان والمزارع وتمكث المياه محيطة بهِ شهوراً. فاذ ذاك تنتشر الكوليرا ويفسد الجو بهِ فمن يوم جاء الالمان واصلحوا الارض لم يحدث حادث من غرق وطغيان

وهذا الجانب يختص بتجارة الحبوب من بُرّ وشعير وسمسم وذرة ويباع فيهِ الصوف والسمن وفيهِ تجارة الفحم المستخرج من الشرك والطرفاء وبعض انواع الخشب وكل ما يجلب

الى بغداد من الحبوب يرد الى هذا الجانب وكل ما يأتي من البلاد الشمالية يأتي اليهِ ويعرض فيهِ على تجار الحبوب والمحتكرين واثمان الاغذية فيهِ يختلف منها في الرصافة وكثير من اهل الرصافة يشترون اغذيتهم منهُ

ويتردد الى هذا الجانب كثير من تجار جزيرة العرب لاسيما النجديين الذين يتجرون بالخيل والابل وكل بخيل العراق ونجد حسناً وجمالاً . وجميع اعراب العراق يترددون اليهِ ببضائعهم وتجاراتهم وفيهِ كثير من تجار الخيل يرسلونها الى الهند واوربا وليس في جانب الرصافة امثالهم

وفي الكرخ مسجد الجنيد والسري السقطي والبهلول ومعروف الكرخي والحلاج والسيدة زبيدة زوج الرشيد وطاقية حسنة وفيهِ مساجد اخرى لغير هؤلاء من الاكابر . وسنأتي على ذكر مدارسهِ ومدارس الرصافة وذكر الاثار الباقية فيهِ والمساجد

عمران بغداد

الجاهل لتاريخ بغداد من اول امرها لو رأى ما بقي فيها من الآثار العباسية لاهتدى بذلك وعلم ان لها سابقة في العمران فقد كانت احسن مدن الشرق واعظمها وليس هذا يفتقر الى بيان فانهُ معروف مشهور . وهي اليوم لا كما يرى ويقرأ في صحف التاريخ بل قد تغير عنها كل شيء والتغيير يسرع اليها على مرّ السنين والقرون لما سنذكرهُ بعد وليس الخراب فيها جديداً بل هو قديم فان الرحالة ابن جبير وصفها وصف الحزين الاسيف وذكرها وذكر مجدها ايام كانت الخلافة العباسية في عنفوان شبابها . وما زالت ايدي الخراب تعثو فيها من يوم دخلت الدولة العباسية طورها الاخير الى ان دخلها هولاكو فدمرها تدميراً والذي يقرأ ما كتبهُ ابن جبير يجد ما يمثل لهُ حالة بغداد في عصرهِ وكان سمع عنها غير ما رآهُ فلم يصدق الخبر الخبر . واذا قسنا بغداد التي زارها ابن جبير ببغداد الحاضرة نجدها قد تغيرت واستكثرنا ان تكون هي ومكذا سنن العمران تارة تسير بانحطاط وتارة بارتقاء على ان هذا التبدل الذي يحدث لدار السلام سريع لكثرة الحوادث التي تقع فيها من غرق وحرق وهدم وبناء وتعمير للديار والقصور فان القصر او الدار لا يعيش اكثر من ثمانين سنة . وقد كان البناء في عهد العباسيين ابقى على تداول الايام من البناء لهذا العهد بدليل ما بقي من آثارهم فهي اشد بناء واتقن وضعاً واطول عمراً . وربما يعيش البناء اكثر من ثمانين سنة وهو قليل والغالب ان لا يبقى اكثر من هذا وهذا بناؤهم عاش قروناً عدة والذي يزور المدرسة المستنصرية او القبة المضروبة على قبر السيدة زبيدة او معسكر ابي جعفر لا يظن انهُ يزور اثراً مضى عليهِ

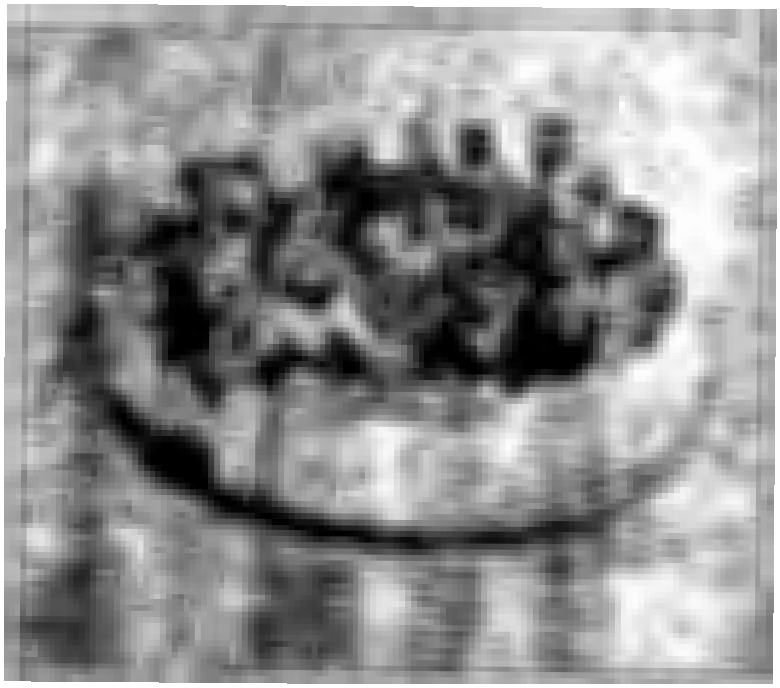

قفة يعبر بها نهر دجلة

منظر آخر لمدينة بغداد

مقتطف ابريل ١٩١٧
امام الصفحة ٣٧٦

مئون من السنين لما يظهر على المباني من الجدة والرونق وهي فلما تحتاج الى ترميم ولولا ولوع الحكومة بهدم الآثار وتبديلها لبقيت قصور كثيرة من قصور الخلفاء كما بقي بعض المساجد والمدارس والاطلال

وانما يسرع الخراب للدور والقصور لاسباب منها جهل البنائين بالهندسة واصول البناء وهم ينشئون البيوت لا على علم وعرفان بل على ما يبلغ جهدهم من التحسين والوضع الجميل ومنها كثرة ما يصيب المباني من الامطار في كل عام . ومنها انهم يبنون بالآجرّ المحرق وهو المعروف عندهم بالطابوق — الطاباق — وهو لا يعيش اكثر من المدة السابقة ومنهُ الطابوق الاحمر الذي يوضع في اساس الجدران . والاصفر وهو حسن المنظر مستوي الوجوه يحرقونهُ في اتانين كبيرة مبنية بجوار بغداد في الصحراء . والطاباق من مواد البناء كثير في بغداد والبصرة وهو القرمد ويسمى في مصر الطوب وفي الشام قرميد وكان الكلدان والبابليون يستعملونهُ في البناء كما شوهد في آثار بابل . وحسن الهندسة وموافقة الموقع يجعلان البناء يعمر طويلاً ولما كانت تربة العراق صلصالية جصية هشة سهلة التكرات لما فيها من المادة الكلسية — فان فيها من ١٢ الى ١٥ في المائة منها — كانت سهلة العجن والتصوير واذا طبخت صلبت واشتدت فاتخذ منها القرمد وبضرب مربع الشكل وظابهُ يساوي ٣٠ سنتيمتراً طولاً ومثلها عرضاً و ٦ سنتيمترات في الثخن وكذلك كان طاباق بابل وكلديا . وكثيرون من البنائين يقسمون الطاباقة و يضعون نصفها في البناء اقتصاداً في موادهِ وتوفيراً على الباني وكل ٤٢٤ واحدة تساوي متراً مكعباً . تبنى المباني والقصور من هذا الطوب وليس هناك صخر ينحت لان البلاد سهل وهي بعيدة عن الجبال الحجرية . ينشئون الدار ذات الطبقة والطبقتين والثلاث ولا يزيدون عليها والفقراء والمتوسطون يقيمون ابنيتهم بما يسمى عندهم (الجلّار) وهو القرمد المكسر القديم و بعضهُ جديد وهو ارخص من الاول ولا يعيش بناؤهُ كثيراً

شوارعها

لما بنى المنصور مدينتهُ وضع لشوارعها اسماء لم تبقَ الى اليوم بل بدلت وغيرت كما سبق ذكرهُ . وكيف لا تبدل وقد بدل كل شيء وجرت هناك حوادث وخطوب . ونذكر الآن ما في الرصافة والكرخ من الطرق المعروفة اليوم . فاطول شارع في جانب الرصافة الطريق الذي يبدأ من باب المعظم و ينتهي الى الباب الشرقي وهو يمتد طولاً من شمال

الرصافة الى جنوبها . واهم منهُ الشارع الذي فتح جديداً وكذلك الشوارع التي تقطعهُ عرضاً اهمها ما حدث من الشوارع اخيراً . ومن الطرق الشهيرة الطريق الذي مبدأهُ الجسر ونهايتهُ مسجد الشيخ عبد القادر وليس لهذه الشوارع اسماء خاصة بل لكل قطعة من الدرب اسم تسمى بهِ . فالشارع بمجموع طرق كثيرة تختلف اسماؤها فيقطع الرصافة طولاً شوارع اولها شارع الميدان من باب المظم و يتصل بهِ شارع السراي و يتصل بهِ شارع جامع الوزير و يليهِ شارع سوق الهرج فشارع اليمنجية فشارع المبعجة فشارع القرية فشارع السيد سلطان على المتصل بشارع الباب الشرقي وهو آخرها وهكذا كل الطرق الطويلة ولم يحدث تغير في شوارع الكرخ . اشهرها الدرب الذي اولهُ راس الجسر ومنتهاه باب الكاظم وفي هذا الشارع الفداد ترا واي ا الذاهبة الى الكاظمية تجرها الخيل على سكة حديد انشأها المرحوم الطبيب الذكر مدحت باشا يوم ولايتهِ لبغداد . ومن الشوارع الشهيرة الشارع الذي اولهُ من الكريمات ونهايتهُ محلة الجيفر وفي الكرخ شوارع تقطعهُ عرضاً . منها درب اولهُ راس الجسر ونهايتهِ مسجد معروف الكرخي الزاهد الشهير وطريق اولهُ باب السيف ونهايتهُ محطة (علاوي الحلة) وهناك غير هذين وكان اعرض شارع لا يزيد على ثمانية امتار الى ثلاثة واثنين . ولم تهتم الحكومة باصلاح الشوارع الا في المدة الاخيرة واذا امطرتها السماء تعسر السير فيها وسالت فيها المياه وكثرت الاوحال

اسواقها

اسواقها تعتبر اقساماً من الشوارع العمومية وكل صناعة وتجارة سوق مشتملة على جملة من المحلات الصناعية والتجارية واسواق الحدادين في الجانبين خاصة بالحدادين وعمال الحديد المعروفون عند عامة بغداد (بالحداحدة) الواحد حداد وسوق النحاسين في جانب الرصافة لباعة النحاس المعروفون عندهم (بالصفاقير) والواحد صفار وهو صانع الصفر بالضم وهو النحاس فالاشتقاق صحيح والجمع عامي . واسواق البزازين في الجانبين وهم تجار الاقمشة واسواق العطارين في الجانبين يبيعون التوابل والبزور والاصباغ وانواع السكر واشياء اخرى واشهر سوق لهم السوق التي في جانب الرصافة في الشارع الذاهب الى مسجد عبد القادر الجيلاني وفيها اسواق بيع البقول واللحوم والفواكه وسائر الاكل واسواق لبيع الحبوب كالرز والبر والشعير والحبوب الباقية واسواق لبيع الحبال والغزل والقطن . ولجميع الحبوب اسواق خاصة في الكرخ شارع فيهِ سوق تسمى سوق (الملاوي) وهي جمع (علوة والعلوة بلغة العامة المحل الذي تباع فيهِ الحبوب وصاحبها (علوجي) و يسمون المحل الذي

تجلب اليه البقول وتعرض عليهم للبيع (علوة الخضر) والخضر يطلقونهُ على البقول التي يلحق عليها اهل مصر اسم الخضار ومن اشهر اسواق الرصافة سوق المرج يباع فيها الاثاث البيوت والاسلحة والملابس ، سوق الغزل يباع فيها القطن والاوطئة

وهذه الاسواق كلها مسقوفة وفيها اسواق مرقوعة عليها القبب بنيت في عهد مدحت باشا وبعض الاسواق سقفت بالصفيح . ويجتمع فيها الناس كل يوم وبعض منها يجتمع لايام الجمع . وهناك اسواق فيها انواع الصناعات وفنون الاشغال ، فيها خليط من العمار ومنها سوق يباع فيها اخلاق الاثاث وقديم الادوات يكون في يوم الجمعة ومن اسواق الكرخ سوق اللبن وعلاوى الجص لبيع الجير والبورق ، واهم التجارة في ايدي اليهود فهم انجح عيناً واكثر ثروة وادنى الى الاقتصاد من غيرهم ولهذا ترى كثيراً من التجارات تكسد يوم السبت ولا تنفق ما دام اليهود في اعيادهم

دورها

تقدم لنا انا وصفنا المباني وصفاً اجمالياً ونريد هنا ان نذكر كلمة عن الدور البغدادية لنأتي على البحث من اهم اطرافهِ . اما الدور المطلة على دجلة فهي جميلة المناظر حسنة المباني يغلب عليها ان تكون مواقعها صحية لطلاقة هوائها وسعة انتيتها واحكام وضعها على شروط الصحة ويسكنها اغنياء الناس وبيتها دواوين الحكومة وثكنات الجنود وبعض المدارس والمساجد ومنازل القناصل والقهوات والفنادق وهي احسن مواقع الرصافة والكرخ تزين بيوتها الاشجار والازهار وعروش الاعناب والنخل الباسقات . والمنحدر في دجلة يشامد اجمل المشاهد الطبيعية وابهج المناظر العمرانية . وبهذه المواقع يلتذ الناظر اكثر مما يلتذ بغيرها من محلات الجانبين فان فيها في الداخل شوارع ضيقة وحارات وازقة يحبس فيها الهواء الردئ والغالب ان تكون بعيدة عن الصحة لما يشع من الحكومة من اهمال النظر في النظافة وتسوية الطرق . ومن احقر الدور التي يسكنها الوطنيون الفقراء والمتوسطون . ودور اليهود على اختلاف طبقاتهم احقر من غيرها واقل عمراناً وابعد عن الصحة . والدور التي يسكنها الاجانب من الفرنجة في الباب الشرقي من الرصافة من اجمل البيوت وهي احسن بيوت بغداد على الاطلاق . اما دور الفقراء واهل الطبقة السفلى فلا تسأل عن حقارتها وسوئها

مساجدها

الف استاذنا العلامة المؤرخ محمود شكري الالوسي كتاباً بحث فيهِ عن مساجدها ومدارسها فذكر تواريخ المساجد وانشائها ووصفها . ولا تزال فيها مساجد من ابنية

العباسيين ومن بعدهم وقد أحدث فيها مساجد فخمة كمسجد داود باشا ومسجد الميدان ومسجد السراي وجامع عبد القادر الجيلاني . واهم الجوامع في الرصافة وليست هي ذات شأن في الكرخ . وفي غالب المساجد مدارس يدرس فيها علم الدين وعلوم العربية وفي بعضها مكتبات تشتمل على كثير من نفائس الكتب الخطية يتيسر الانتفاع بها والاطلاع عليها كمكتبة الكبة في جامع الكبة والمكتبة المرجانية في جامع مرجان والمكتبة التي في جامع ابي حنيفة النعمان . وفي هذه المساجد الائمة والمدرسون والخطباء والقيمون والخدم والمؤذنون والقراؤن والمجدون يتقاضون رواتبهم من الوقف الخيس الذي تستولي عليه الحكومة وتنفق منهُ عليهم واكثرها يفرش بالبسط النفيسة العجمية الناعمة تحتها الحصر والبواري الواحدة بارية وهي حصر تتخذ من القصب (البوص) ويقال فيها بارياء وباريء بتشديد الياء في الثاني وقد استعمل الكندي هذا اللفظ في كتاب القضاة والولاة واستعملهُ المسعودي وابن مسكويه في تجاربهِ

وفيها منابر تبنى بالطوب او الرخام . ومن اجمل المنابر المنبر الذي في جامع عبد القادر الجيلاني ولا تعرف صناعتها من الخشب . وفي كل مسجد تالٍ يتلو القرآن ويرتلهُ كل ظهر جمعة ويجتمع اليهِ اخرون يجودون معهُ يبدأون من اول القرآن حتى يختمونهُ بخلاف العادة الجارية في مصر . وليس في منابرهم السلام كما هو معروف في مصر . وبلغت جوامع الجانبين بضعة وار بعين مسجداً للجمعة غير المساجد الصغيرة وبيوت الصلاة . وغالب المساجد فيها مقابر العلماء والاولياء عقدت على قبورهم القبب وتردد اليهم العامة بالزيارات والنذور ولهم في ذلك عادات تشبه عادات العامة في مصر في حسن الاعتقاد باهل المقابر وطلب البركة منهم والتوسل بهم

ويقيم في المساجد كثير من الغرباء والفقراء الذين يطلبون العلم ولهم بيوت وغرف في كثير من المساجد يمكثون فيها ويباح لكل طالب المكث فيها وفيها محلات للوضوء والطهارة على نحو ما يرى في مصر

مدارسها

كتب المستشرق الفاضل لويس ماسينون كتاباً عن المدارس في العصر العباسي باللغة الافرنسية ضمنهُ ابحاثاً جليلة فبحث في تاريخ المدرسة النظامية والتاجية والمستنصرية والمرجانية والسليمانية والمرادية والعمرية وغيرها من المدارس التي بعضها باقٍ وبعضها

دارس فمدارس الدين تكون في غالب المساجد وفيها المدرسون والعلماء يلقنون العلوم الدينية والعربية على الطريقة المتبعة في جميع البلاد الاسلامية وفي القطر المصري وهذه المدارس تفتح في اليوم بضع ساعات من اوله او آخره ولا يتردد اليها طلاب كثيرون فالمدرس لا يأخذ عنهُ اكثر من خمسة او ستة من الطلبة لكل واحد منهم درس يستقل به وقد يشترك اثنان في درس وهذا يدل على قلة الطلبة واهمال شأنهم . وطلبة علم الدين قليلون ولا يزالون يقلون كأنهم شعروا بسوء طريقتهم في التعليم فلجأ بعضهم الى مدارس الحكومة . مع ان الحكومة لم توجه اليهم النظر في اصلاح شأنهم وتهذيب تعليمهم . وليس لهم جرايات ولا أعطيات ولا اوقاف تصرف عليهم كما يرى في القطر المصري في الازهر والمعاهد الاخرى . والباقون من الطلبة لا يزالون متأخرين في علومهم وآرائهم وافكارهم لا يهتمون الا بما لا ينفع من العلوم ولا يتعلمون العلوم الحديثة وعلوم الآداب والتاريخ واللغة . والمدارس كثيرة في الرصافة قليلة في الكرخ واشهر مدارس الرصافة المدرسة المرجانية والمرادية والقادرية والكبرى ومدرسة الفضل وفي الكرخ مدرستان شهيرتان المدرسة العمرية ومدرسة الخضر الياس . هذا ما يقال اجمالاً عن مدارس الدين في بغداد نفسها . واما مدارس الحكومة فكثيرة وكان في بغداد وتوابعها في عصر الاستبداد ٢٤ مدرسة رسمية و ٦ مدارس لغير المسلمين واليوم تبلغ المدارس في بغداد وتوابعها ١٠٣ مدارس منها ٨٣ مدرسة رسمية و ٢٠ مدرسة اهلية او ٩٠ مدرسة للمسلمين و ١٣ لغيرهم . وعلى صورة اخرى ٦٧ كتاباً و ٢٩ مكتباً اي مدارس رشدية و ٥ مدارس اعدادية و ٢ عاليتان وهما مدرسة الحقوق والمدرسة السلطانية . وكان عدد تلاميذها ١٣٥٣٧ سنة ١٩١٣ هذا في بغداد وتوابعها . والمدارس التي في نفس بغداد لم اقع لها على احصاء . وفيها مدرسة للمعلمين ومدرسة للحقوق ومدرسة للمدرسة ومدرسة للضباط الصغار ومدرسة حربية والمدرسة السلطانية ومدارس ابتدائية ورشدية . وكل المدارس في الرصافة الا مدرسة رشدية في الكرخ وبعض المدارس الابتدائية ومدرسة الضباط الصغار . ولسان التدريس في هذه المدارس كلها اللسان التركي ويتعلمون فيها ابناء العرب نحو اللغة العربية باللغة التركية ويتعلمون الفنون كلها بالتركية . فما تقدم يظهر تأخر العلم في بغداد مهد الحضارة العربية

آثارها

لا تزال الآثار في بغداد شاهدة لذلك العصر العربي بالعلم والفضل والمجد ولا يسعنا ان نتوسع في ذكر الآثار ووصفها فان ذلك يملأ مجلدات ونشر عنها المستشرق لويس ماسينون

ما يضيق عنهُ المجلدان . واهم الآثار الباقية المدرسة المستنصرية التي بناها المستنصر العباسي وجعلها محط الرحال وغاية الطالبين تضرب اليها اكباد الابل ويقصدها طلبة العلم من الاقطار . وقد كادت آثارها تمحي فان الحكومة جعلتها ديواناً للكوس ١ جمرك وقسم منها جعل محلات تجارية ومنهُ ما جعل قهوة ولا تزال مكتوباً عليها تاريخ بنائها وترميمها بخط لا تصل اليهِ الايدي . وغرف الطابق باقية في الطبقة العليا والطبقة السفلى مكتوب على بابها تاريخ تعميرها وهي اكبر رحبة من الازهر واكثر غرفاً منهُ واحسن موقعاً . ومن الآثار ما بقي من طلل المدرسة النظامية ولم يبقَ الاَّ اسفل المأذنة التي كانت فيها وجعل يهود بغداد في موقعها دوراً يسكنونها وقد اتت كلها بتعاقب الايام عليها وهذه المدرسة درس فيها ابو حامد الغزالي رحمهُ الله وكان فيها الخازن صاحب التفسير المشهور . ومن الآثار الباقية معسكر ابي جعفر المنصور شرقي الرصافة ويعرف اليوم (بالطوبخانة) وهو واسع الاطراف لم تنتقص اطلالهُ والحكومة عاملة على نقضها لولا ما في البناء من الصلابة والشدة وهو محل جيش الفرسان الذي في بغداد ومحل الذخائر والادوات الحربية . وفي جانب منهُ مسجد وسجن للجناة الذين يزيد سجنهم على عشر سنين والمحكوم عليهم بالتأبيد ولهُ ابواب عدة . ومن الآثار الاطلال الباقية من سور بغداد في الجانب الشرقي والباقي منهُ باب يعرف عندهم بالباب الوسطاني وهو الباب الذي دخل منهُ هولاكو التتري سنة ٦٥٦ . ومنهُ الباب المعروف عندهم بالمنصور وكان هذا السور محيطاً ببغداد كلها الى عهد مدحت باشا سنة ١٣٠٥ هـ وسنة ١٨٨٧ م فلما ولي بغداد امر بهدمهِ ولم يبقَ منهُ الاَّ الابواب فحفظت الى اليوم . اما السور الذي بناهُ ابو جعفر لمدينتهِ فانهُ لم تبقَ منهُ باقية وفي سنة ١٩٠٨ هدم الباقي ودفن خندقهُ على ما اتذكر . فقد كنا اطفالاً نذهب الى الصحراء ونجد اسس السور ظاهرة ثم انها هدمت ودفنت . ومن الآثار القبة المرفوعة على قبر زبيدة زوج الرشيد وهي في الكرخ على مقربة من قبر معروف الكرخي وهي جميلة لم ارَ مثلها في مصر ذات شكل مخروط يرتفع الى نحو خمسين متراً ترى قبتها عن بعد . ومن الآثار جامع مرجان وجامع العاقولية وجامع القمرية في الكرخ واطلال تعرف عندهم بالسن والمنارة الباقية من المسجد الجامع المعروفة بمنارة سوق الغزل وهي الآن في خربة تطرح فيها الاوساخ والقمامات

القاهرة محمد الهاشمي البغدادي

باب تدبير المنزل

قد فضلنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

تعديل الاسنان (الارثودنتيا)

تراكب الاسنان بعضها على بعض داء منتشر في كل طبقات الناس على اختلاف اجناسهم حتى في الحيوانات الدنيا . وقد ظهر من فحص بعض الجماجم انهُ كان موجوداً في الزمان القديم . الاَّ انهُ ازداد تفشياً بازدياد وسائل التمدن . وقلَّما يُعنى الناس بامره او يتدارَكونهُ بالعلاج الاَّ اذا كان ظاهراً للعيان مع انهم لو علموا ما ينجم عن اهماله من الضرر فضلاً عن تشويهه لهيئة الوجه لما اغفلوهُ الى هذا الحدّ ولما ضنُّوا ببعض دريهمات يبذلونها في سبيل شفائه

بعد ان أتممت درسي في الولايات المتحدة ذهبت الى مانت لويس لادرس فنّ تعديل الاسنان بنوع خاص على اكبر استاذ فيه وهو الدكتور ادورد انجل . فبينما نحن نتحدث ذات يوم قال لي « ليس علم تعديل الاسنان الاَّ فرعاً من فروع الطبّ ولكن ممَّا لا ريب فيه انهُ من ادقها واتمّها اتقاناً لاننا بواسطته نساعد الطبيعة على تحسين شكل وجوه المصابين بداء تراكب الاسنان »

وممَّا يدعو الى الارتياح وزيادة الاعتناء بامر هذا الداء انَّ شفاءهُ مضمون . فلا عذر للوالدين اذا اهملوا علاج اسنان اولادهم مع علمهم انهُ يؤثر في نطقهم وصحتهم وجمال وجوههم وهضمهم للطعام

ومع ان هذا الداء كان موجوداً في الزمان القديم كما ذكر فانهُ لم يُنتبه لهُ ولا اهتمَّ احد بالبحث فيه او في اكتشاف طريقة لعلاجه الاَّ منذ عشرين سنة تقريباً حينما صار فن تعديل الاسنان فرعاً قائماً بنفسه وله اختصاصيون لا يتعاطون سواهُ من فروع طبّ الاسنان بل صح ولئك الاختصاصيون يعدُّون صناعتهم هذه فرعاً مستقلاً بذاته لا علاقة لهُ بسائر فروع الطب . وقبل ان اخوض في هذا الموضوع يجدر ان اصف هيئة الاسنان الطبيعية فاقول:

تكون الاسنان الستُّ الامامية وهي ما يُعبَّر عنها بالقواطع والانياب في شكل نصف

دائرة تقريباً . وتليها الاضراس متراصّة في خطٍّ مستقيم فاذا أُقفل الفم وجب ان تغطّي هذه الاسنان في الفكّ الاعلى الاسنان التي تقابلها في الفك الاسفل مع بروز قليل في العليا وان يلابس الضرس الاول الكبير في الفك الاعلى الضرس الثاني الصغير الذي يقابله في الفك الاسفل والضرس الاول الكبير . فمن اراد ان تكون اسنانهُ في حالةٍ صحيّة جيّدة وجب عليهِ ان يعتني بفكيهِ واللثة التي وسقف الحلق وعضلات الشفتين والخدين واللسان والانف والحلق لان كل هذه تساعد الاسنان على القيام بوظيفتها

تكمل الطبيعة بناء جهاز الاسنان في عشرين سنة اي من الدقيقة التي يبتدئ فيها تكوُّن الجرثومة الاولى الى ان يتمّ نبت اضراس العقل . وهذا الجهاز هو هو لم يتغيّر من قديم الزمان . والاسنان خلقت متراصّةً في شكلٍ هندسيٍّ عجيب يدعم بعضها بعضاً فلا تميل عن موضعها الذي وُجدت فيهِ وتُعمل وظيفتها معاً بغاية الدقّة

ومما اريد ان الفت النظر اليهِ هو ان الاضراس الاربعة الاولى لا تتبدّل ولو زعم معظم الوالدين انها اذا تلفت نبت غيرها . وهي واحد في كل جهة من الفك تنبت في السنة الخامسة ونصف او السادسة . ولها اهمية كبيرة في مكانها نظراً لملاقاتها بسائر الاسنان ولانها تعتبر كأساس للفم . تنبت هي اولاً واذا تمّ ثبتها أخذت الاسنان الامامية بالتبدُّل وتلتها الاضراس الثانية . فوجودها في مكانها اذاً يكون ضامناً لبقية الاسنان ان تنبت في مواضعها الاَّ اذا طرأت عليها اسباب مرضيّة حالت دون ذلك كما سيجيء . فلو خُلعت هذه الاضراس لمالت الاسنان الامامية الى الوراء والاضراس الخلفية الى الامام ولا يخفى ما في ذلك من الضرر لما ينجم عن هذا الميل من التأثير العظيم في شكل الاسنان وفي الفم الخ

عدم انتظام الاسنان إمَّا ان يقع في الاسنان الامامية او في احدى جهتي الفم او في الجهتين معاً ويكون إما بروزها الى الامام او بانحنائها الى الوراء او بتراكبها بعضها فوق بعض واسباب ذلك كثيرة أذكر جلَّها : تضخُّم قبد اللثة . خلع الاسنان قبل الاوان . اعتياد الاطفال مصّ اللسان والاصابع . الوراثة . التنفس من الفم لانسداد الانف لعلّةٍ فيهِ . تأخُّر التكين او عدم نموّها نموّاً وافياً . تأخّر سقوط الاسنان اللبنية او خلعها . ظهور الاسنان الاضافية (هي اسنان نبتت زائدة عن العدد الطبيعي) . تأخُّر نبت الاسنان

رأينا فيما سبق بيانهُ ان اسباب عدم انتظام الاسنان عديدة وان معظمها مما يمكن تجنُّبهُ اذا فطن الوالدون لها

لنأخذ مثلاً عادة مص الاصبع فهذه يمكن وقاية الولد منها بدهن اصابعهِ بصبغة المر او بحلول الكينا . فاذا لم يمتنع لُفت يدهُ بكيس . ويمكن اتقاء عادة مص اللسان بربط الفك برباط يحفظ الفم مقفلا هذا اذا كان الانف سليماً من كل مرض والافضل استشارة طبيب قبل الاقدام على هذا الامر . وهذه الطريقة تفيد ايضاً الذين يتنفسون من الفم . ومسئلة تأخير سقوط الاسنان اللبنية يمكن تداركها بخلع الاسنان ومعالجة انسداد الانف عند الاطباء الاخصائيين . والاسنان الاضافية بخلعها

اما الاسباب الاخرى كتأخُّر نمو الفك او تأخُّر نبت الاسنان الثابتة فلا يجمع علاج فيها والافضل تركها للطبيعة التي قد تكون في كثير من الاحيان خير علاج

انتهيت الآن من وصف هذا الداء واسبابهِ و بقي عليَّ ان اذكر شيئاً عن طريقة علاجهِ من الثابت المقرَّر ان هذا الداء يشفى تماماً مهما كانت اسبابهُ او تشكَّلت حالاتهُ وافضل وقتٍ لعلاجهِ حال ظهورهِ لانهُ كلما كبر الولد فسا عظمهُ واصبحت مهمَّة الطبيب اصعب . انما يجوز ايضاً علاجهُ بين السنة العاشرة والثامنة عشرة الى الثانية والعشرين وقد يجوز احياناً بعد هذه السن في احوال استثنائية وان يكن العظم يستوفي نموَّهُ بين السنة العشرين والثانية والعشرين

اما تأثير عدم انتظام الاسنان في الوجه فيشمل الوجه والذقن والخدين الى ثلثي الانف من الجهة السفلى . و يؤثر كذلك في النطق وعملية الهضم ويقف عقبة في سبيل نظافة الفم لان اللثة تكون حينئذٍ مريضة والاسنان عرضة للتسوس . وفي حالة النمو تتضخم الشفتان بسبب كثرة نحر بكها لتغطية الاسنان الناتئة . ولما كانت الملافة كبيرة بين الفم والانف والحلق والرئتين فمتى كان سقف الحلق عالياً بسبب ضيق قنطرة الاسنان يضيق الانف و يعسر التنفس صعباً فيضطر المريض ان يتنفَّس من فيهِ وذلك يعرِّضهُ لالتهاب اللوزتين وضعف الرئتين . واذا تأثرت اللوزتان وتعاقبت عليهما السنون أزمن الالتهاب فيهما ونتج عن ذلك ثقل في السمع

نرى شباناً وشاباتٍ كثيرين مشوَّهي الوجوه بسبب عدم انتظام أسنانهم وقد يتفق ان يتعذَّر على الفتاة ايجاد زوج لما بسبب علةٍ في اسنانها كانت في بدء امرها بسيطة فأهملت فاستفحلت ولو تداركت بالعلاج اللازم لشفيت تماماً

معدِّل الاسنان

تصلح الاسنان بمعدِّل يُدخل الى الفم فيضغط على الاسنان المطلوب تعديلها و يدفعها

الى الجهة المقصودة حتى تصل الى الموضع الذي يجب ان تكون فيهِ . والطرق المتَّبعة في ذلك متعددة كطرق الجراحة لانَّ لكل استاذٍ طريقةً خاصَّةً بهِ تعرف باسمهِ

أوَّل من بحث في هذا الفن وأخرجهُ من القوة الى الفعل الدكتور فوشار الفرنسوي سنة ١٧٢٦ وتابعهُ الدكتور شانج — وهو فرنسوي ايضاً — مع بعض تعديل في طريقة العمل ولما قام الدكتور دونْديل الاميركي سنة ١٨٤٨ ادخل بعض التحسين على الطريقة التي كانت معروفة بان استنبط وسائط تسهِّل جذب الاسنان ودفعها . وتلاهُ كثيرون غيرهم . امَّا في الوقت الحاضر فأشهر اخصائي بهذا الفرع هو الدكتور أنجل الاميركي لانهُ بنى طريقتهُ على قواعد طبية ميكانيكية سهَّلت عملية الجذب والدفع والدوران دون ان يحدث اقلّ ضرر للثة او تحول دون تنظيف الفم . اذ لا يخفى ان عدم معرفة طرق هذه المعالجة معرفة تامة او عدم الاعتناء اللازم باجرائها قد يؤدّيان الى عواقب وخيمة

قلت انهُ يجوز تعديل الاسنان الى آخر السنة الثانية والعشرين ولكن مما لا مشاحَّة فيهِ ان افضل وقت لذلك هو سن الطفولة حين يكون النسج السنّي حول الجذور اكثر اتساعاً وقبل ان تتكوَّن الحواجز التي بين الاسنان . وزد على ذلك ان العظم السنّي يكون أسمك فيقوى على احتمال الضغط اكثر مما لو كان رقيقاً دون ان يتعرَّض للالتهاب لان اساس عملية تعديل الاسنان هو الضغط . وهذه العملية تستغرق في الغالب زمناً طويلاً لان الاسنان بعد ان تُعدَّل يجب ان تُربط في الموضع الذي ركزت فيهِ وان تظلَّ كذلك الى ان تنمو الانسجة التي تسندها وتثبت في مكانها الجديد . ولا يمكن تعيين هذا الزمن بالضبط لانهُ يختلف باختلاف السنّ ويتوقف على كيفية العضّ وعلى شكل الاسنان وكثرة تحريكها او قلتهِ وعلى حالة اللثة وهذا الزمن يختلف من بضعة ايام الى سنة وسنتين . اما اذا حُرِّكت الاسنان فقد تدعو الضرورة الى ان تظلَّ مربوطة الى زمن غير محدود . ولزيادة الايضاح اقول ان تعديل اسنان ولدٍ عمرهُ تسع سنوات يستغرق من الوقت ثلث ما يقتضي لتعديل اسنان شاب عمرهُ عشرون سنة . على ان بعض الحالات قد يكون صعباً او نظراً لطوارئ ، تكن في الحسبان فيضطر الطبيب الى ايقاف العلاج لاسباب صحيَّة فتطول مدتهُ الى اكثر من سنتين ولاسيما اذا تكرَّر هذا الحادث اكثر من مرة

الأرثودنتيا كلمة مركبة من كلمتين يونانيتين — ارثو ومعناها مستقيم ودنتيا ومعناها سن . قلت قبلاً ان هذا الفرع من طب الاسنان لم يُعنَ بهِ الاَّ من عهد قريب وانهُ اختصَّ

فيه أطباء كثيرون في اكثر الحواضر الكبرى في انحاء المعمور . وما ذلك الا لما رأوا من فوائد هذه الجلّة وضرورتها لتحسين وجوه الذين ابتلاهم الله بهذا الداء . ولا اغالي اذا قلت انهُ قد يتوقف عليه سعادة كثيرين في هذه الحياة

عالجت مرةً صبيّة في الثامنة عشرة من عمرها لا ازال أتذكّر شكل فمها القبيح حين رأيتها للمرّة الاولى . واني لموقن انها لم تكن تجد من يخطبها لو لم تصلح اسنانها مع ما فيها من جمال ولطف . لان اقلّ شائبة في الوجه تكدّر صفاءهُ فكيف به اذا كان الفم قبيح المنظر وهو اول ما يقع النظر عليه . لما زارتني في عيادتي للمرّة الاولى وقلت لها انني استطيع ان اصلح اسنانها فينتظم عقدها و يتسق نظامها ضحكت ضحكة يأس وقالت « مش عاوزه اخلع اسناني » فضحكت انا لضحكها وقلت لها لا تخافي فلن اخلع لك سنًّا واحدة وشرطك عليَّ انك لا تشعرين بألم ولكن عديني انك لا تجزعين ريثما انتهي من عملي وان طال الوقت الى بضعة شهور . فقبلت وعالجتها فشفيت . وقد كذّب كثيرون ممن عرفوا تلك الصبية قبل العلاج ابصارهم عندما شاهدوها وقد تغيّر شكل وجهها تغيّراً كليًّا لان جمالها الطبيعي ظهر بعد احتجابه ردحًا وراء اعراض ذلك الداء . فبعد ان كانت شفتاها قصيرتين بسبب نتوء الاسنان طالتا وتلاصقتا . وبعد ان كانت انيابها عاليةً ناتئةً ركزت في موضعها الطبيعي . وبعد ان كانت اسنانها متراكبةً يحتك بعضها بالقسان و تشبّه البعض الآخر جهة سقف الحلق وضع كلٌّ منها في المكان الذي وجد لهُ فانتظم شكلهُ . ومما لا ريب فيه ان تغيير وضع الاسنان يغيّر شكل عظم الفكين لان الضغط يحدث امتصاصاً في عظم الفك فالجهة التي تخلو من حركة الاسنان يتولّد فيها عظم جديد ونتيجة هذا التعديل كما سبقت وابنت تظهر في الشفتين والخدين والذقن والانف و بالاجمال فان هيئة الفم تتغيّر تغيّراً كليًّا . وقد تدعو الضرورة في بعض الاحيان الى خلع ضرس او اكثر هذا اذا كانت الاسنان كبيرة وكان الفك ضيقًا وذلك نادر

ولا يسعني قبل ختم هذه المقالة الاّ التشديد على الوالدين بوجوب معالجة اسنان اولادهم لمصابة بهذا الداء بعد ما عرفوا من تأثيره في جمال الوجه خصوصاً والصحة عموماً ومن امكان شفائه في هذا العصر الذي خفّف الطب والعلم فيه كثيراً من مصائب بني الانسان

الدكتور
ادورد غرزوزي

الايبكاك والدوسنطاريا

نبات عرق الذهب (ايبكاك) ينبت في غابات غضة في البرازيل من اميركا الجنوبية طوله ١٠ سنتيمترات وقطر قصبته ٤ ملمترات الى ٥ ومعظمهُ مجرد ملتوٍ لونهُ اشهب باهت واسود محمد بحلقات غير منتظمة يخللها شقوق . وقشرتهُ سميكة لكنها هشة سهلة الانكسار والانفصال عن الجزء الصلب الداخلي لهُ رائحة غريبة خاصة بهِ وهو مجشئ ومقيء وضعهُ مر وحريف واهم ما استخرج منهُ الامتين . وكان معروفاً عند الوطنيين وعم استعمالهُ بينهم من زمن بعيد قبل ان يحضرهُ الى اوربا بيزو Piso سنة ١٦٥٠ وبعد هذا التاريخ بمدة قصيرة وصل الى باريس رجل اسمهُ ادريان هايفيتوس نشر اعلاناً وزعهُ في عاصمة فرنسا وقال فيهِ انهُ يعرف علاجاً يشفي من داء الدوسنطاريا . وما بلغ خبرهُ مسامع الملك لويس الرابع عشر حتى استدعاهُ لمعالجة ولي العهد وكان مصاباً بهذا الداء ولم يكن هايفيتوس دجّالاً صرفاً لان المريض شفي بعد بضعة ايام من توليهِ معالجتهُ . ولما رأت الحكومة فعل العلاج بمرض ولي العهد اكبرت شأنهُ واشترت وصفة تركيبهِ بالف جنيه واباحت استعمالهُ للامة . وقالت هايفيتوس انهُ تركيب طبيب من هولندا وكان الايبكاك الجزء المعول عليهِ فيهِ

ومن ذلك العهد الى يومنا هذا راج استعمال عرق الذهب في معالجة الدوسنطاريا ولكن لم تكن النتيجة وافية بالمرام تماماً فكان يفيد في اصابات ولا يفيد في غيرها لاسباب كانت غير معروفة وكان الذي ينجح في استعمالهِ يطنب في فوائدهِ ويمتدح تأثيرهُ بخلاف من فشل فانهُ كان يحذر زملاءهُ منهُ ومن الركون اليهِ كعلاج وانكر عليهِ كل ما قيل عنهُ من المزايا في شفاء المرضى بداء الدوسنطاريا . ولا ريب ان كونهُ مقيئاً اضرّ كثيراً بشهرتهِ واضاع قسماً من منافعهِ ولا عجب فان الداء الذي نحن بصددهِ كان معروفاً باعراضهِ فقط وهي الزحير وظهور الدم والمخاط والصديد في البراز وضعف وهزال اما الآن فمعروف باسبابهِ وهي نوعان لذلك لقي الاقدمون في استعمال عرق الذهب ما لقوا من النجاح تارة والفشل طوراً لانهم كانوا يعالجون الاعراض غير آخذين بالسبب . والاعراض واحدة وان كان هناك سببان لها غير فارقين بينهما . وكثُر استعمال الايبكاك في الهند لمعالجة امراض الكبد ايضاً

وفي سنة ١٨١٧ استخرج منهُ بالليتر Pelletier الجوهر الفعال فيهِ اي الامتين وانتشر استعمالهُ بين فئة كبيرة من الاطباء في مداواة الدوسنطاريا ونجحوا الاَّ في حوادث قليلة

كان تأثير الامتين فيها معدوماً وفي سنة ١٩١٠ اثبت فيدر Vedder في مانيلا بفراهين قاطعة ان الامتين يقتل الاميبا بسهولة كلية . وفي الهند من عهد ليس ببعيد تمكن روجرس Rogers ان يشفي حوادث عديدة وحادة من الدوسنطاريا بواسطة الامتين بحقنه تحت الجلد . واليوم اصبح الامتين معروفاً في كل مكان انهُ العلاج الشافي لداء الدوسنطاريا الاميبية ويرجع اليهِ كل طبيب في مداواة المرضى بهذا الداء المضنك . وهو يقتل الاميبا في الحال بمحلول جزء واحد الى عشرة آلاف وبدقيقتين بمحلول جزء الى مئة الف . واثبتت التجارب ان استعمالهُ في اصابات كثيرة من اصابات الكبد جاء واقياً لها من خراجات اميبية وشافياً منها بعد ثبوتها . واحياناً يتعذر على الطبيب ان يفرق بين الدوسنطاريا الاميبية والدوسنطاريا المكروبية لعدم وجود الادوات اللازمة لفحص او لبعدهِ عن المحل الذي تجري فيهِ عمليات الفحص والتحليل ليثبت في تشخيصهِ الداء قبل ان يقدم على المعالجة ولكن ذلك لا يمنع استعمال الامتين في الحال اذا لم يكن للمداواة فيكون للتشخيص . وعادة تظهر علامات التحسن على المريض بعد يومين او ثلاثة ايام اذا كان مصاباً بنوع الدوسنطاريا الاميبية واذا مضت ثلاثة ايام على استعمال الامتين ولم تظهر اعراض التحسن على المريض فيكون مرضهُ من نوع الدوسنطاريا المكروبية وليس للامتين تأثير في هذا الداء

وقد جاء في تقرير الدكتور روس Ross انهُ يستعمل الامتين في جميع الاصابات التي تصيب الجيش المرابط على سواحل بحر الروم ولو كانت مشتبهة ومع ما تقدم فالامتين لا يفيد في اصابات المعى شانها وتركت بغير معالجة وقتاً طويلاً لان الاميبا تكون قد توغلت في نسج الامعاء واتلفت جانباً كبيراً منهُ وربما خرقت جدار الامعاء واحدثت ما يعبر عنهُ بالدوسنطاريا الاميبية المضاعفة

واختبارنا يؤيد ما ورد عن هذا العلاج المدهش بتأثيرهِ في حوادث عديدة كانت اعراض التحسن تبدو على المريض من اول حقنة . وكثير منهم يشفى بعد الحقنة الثالثة وقليل من العشرة نال ما نال الايكاك من الشهرة التاريخية

الدكتور شخاشيري

باب الزراعة

استغلال الارض

(١٤)

تأجير الارض ايضاً

المعتاد ان تكون مدة التأجير سنتين اثنتين او ثلاث سنوات والمدة الاولى افضل اذا كانت الدورة ثنائية والثانية افضل اذا كانت الدورة ثلاثية وذلك ليتم الانتفاع باجزاء الارض في مدى مدة التأجير على التساوي شتوياً وصيفياً ونيلياً

وقد تؤجر الارض مدة سنة واحدة او زرعة واحدة شتوية كانت او صيفية او نيلية (١) في الجهات الجنوبية حيث يكثر الفلاحون من زراعة الحبوب الشتوية فيحتاجون الى جانب من الارض لزراعته برسيماً لمواشيهم او حيث يكثرون من زراعة القطن فيحتاجون الى زراعة الذرة سيما حيث يتوفر السماد عندهم (٢) في الجهات البحرية الواطية حيث تكثر زراعة البرسيم فتموزع الحبوب فيستأجرون جانباً من الارض لزراعة الشعير او الارز وهاتان الحالتان حينما يكون المستأجر قادراً على فلاحة ارض اكثر من غيطه المعتاد (٣) بعض الاجراء الناشطين يحتاجون الى زراعة جانب برسيم للماشية التي يقومون على تربيتها ثم الى جانب ذرة حيث يمكنهم تسميده من السماد المتحصل من تربيتها (٤) يرغب الفلاحون في زراعة القطن وحدها اما عقب تسميد الارض في الزرعة السابقة له تسميداً وفيراً او عقب غسيلها وتخريشها بزرعة البرسيم لاسيما حيث تكون اسعار القطن مرتفعة

ويجري بعض الملاك مع مستأجري ارضهم على كتابة عقد التأجير لمدة سنة واحدة ولا يُجدد للسنة التالية الاَّ اذا قام المستأجر بجميع واجباته نحو الارض ومالكها فاذا لم يقم بها كما ينبغي سهل على المالك اخراجه منها بلا تقاضٍ ولا يكون ذلك الاَّ حيث يكثر عدد المستأجرين

وفي غير هذه الاحوال يُفضّل الملاك غالباً والمستأجرون دائماً ان لا تكون مدة التأجير قصيرة (١) ليتم الفلاح الانتفاع بنتائج الفلاحة المتقنة التي تستديم منفعتها بعد الزرعات

التي اجريت فيها تلك الاجراءات تسميداً كانت او تحسيناً فان الفلاح الذي تمتد القدرة بكفية وفيرة من السماد او بوّق الارض بزراعة البرسيم او حسنها بزراعة الارز لا يهون عليه تركها عقب ذلك مباشرة بل يتمسك بان تبقى الارض معهُ بمدها ليجني ثمرة تلك الاعمال النافعة التي اجراها (٢) لان استقرار المستأجر في الارض أدعى لاطمئنان المالك والمستأجر معاً

والطالب ان يظل المستأجر المستقيم الشيط في الارض بتجديد استجاره لها مدةً بعد مدةٍ اذ يكون ذلك افضل لهُ وللارض وللمالك معاً وتحافظ الادارة الزراعية الحسنة على هذه الحالة جهد المستطاع فلا تزعزع مستأجراً من ايجارته الاّ لسبب كافٍ وتفضل المستأجر المستقر في ايجارته على من يبغي مزاحمتهُ فيها لا عند تساوي الظروف بينهما فقط بل ولو عرض المزاحم زيادة في اجرة الارض يمكن التسامح فيها للمستأجر المستقر مكافأة على حسن عنايته واستقامته وبذلك ينشط هو وسائر المستأجرين على انتهاج الخطة المثلى في فلاحتهم ومعاملتهم بالاطمئنان حاضراً ومستقبلاً

واغلب الملاك يعتمدون في صيانة حقوقهم قِبَل المستأجر على الزراعة التي تغلها الارض ثم على ما يمكن من الكفالات العقارية او المالية ان تيسرت وبعضهم يجعل جلّ اعتماده على الكفالات ويشدد في ذلك كل التشديد وكلهم يحافظ على غلة الارض حتى يستوفي منها حقوقهُ قبل تصرف المستأجر فيها

وبما ان القطن (ومثلهُ القصب والارز في مناطقها) هو اهم محصول يمكن تسديد الايجار من ثمنهِ يحافظ عليهِ الملاك بنوع خاص حتى لا يتمكن المستأجرون من جنيهِ او من بيعهِ الاّ عن يدهم او بعد اخذهم ايجار ارضهم فاذا لم يفِ ثمنهُ بالايجار كلهِ يأخذون محصول التيلي (القدرة ونحوهُ) كلهُ او بعضهُ

اما محصولات الحبوب الشتائية كالقمح والشعير والفول فقد جرت العادة ان يفرض عليها قيمة ربع الايجار او خمسهِ في الارض الجنوبية اذا كانت دورتهم الزراعية ثنائية او اكثر من ذلك اذا كانت دورتها ثلاثية

اما في الجهات البحرية حيث الارض احسن ما تغل القطن دون الحبوب فلا يفرض على زراعة الحبوب الاّ جزء يسير من الايجار والجزء الذي يحصل من المزروعات الشتوية في الحالتين المتقدمتين يكون كذلك اذا كان المستأجر مسدّداً ايجار السنة السابقة اما اذا كان متأخراً فيأخذ المالك نصف المحصول او اكثر حسبما يراهُ

وغالبًا لا يفرض على زراعة البرسيم جزء من الايجار لانهُ غذاء الماشية . والحبوب التي تخرج منهُ لا بد منها للتقاوي لاسيما وان زراعتهُ تحسن الارض فيجب ان يشطرها المالك

ويجري بعض المصالح على فرض جزء معين من الايجار على كل زرعة فيفرضون مثلاً على فدان البرسيم جنيهاً ونصف جنيه وعلى فدان القمح ٣ او ٤ جنيهات وعلى فدان الذرة ٣ جنيهات وعلى فدان القطن ١٠ جنيهات الخ فيأخذون ايجار كل زرعة من محصولها اولاً باول واذا جاء ثمن القطن زائداً زيادة كافية عن الايجار يحجز جزء من الزيادة كتأمين على سداد ايجار السنة التالية وفي ذلك حسن احتياط نافع للمالك والمستأجر معاً

اما طريقة ايفاء الايجار في ارض الملتى وفي الارض المؤجرة زرعة واحدة فيكون من نفس محصول الزرعة

وحيث يُصاب المحصول او يرخص سعرهُ يتعذر على المستأجر سداد الايجار فاذا كان قدم كفالة استوفى المالك حقهُ منها بعد تعب وارهاق لمستأجر ارضهِ وكفيلهِ واذا لم يكن هناك كفالة ضايق المالك المستأجر في محصول حبوب الارض التي لا بد منها لغذائهِ وبما ان الفلاح حريص على اخذ قوتهِ من زراعتهِ فانهُ يجتهد في اخذ كل ما يمكنهُ منها باية طريقة وكثيراً ما يخسر الملاك في هذه المواسم الكاسدة خسارة قد لا تعوض الاَّ نادراً في المواسم الخصيبة

والمقتطفات الآتية في هذا الموضوع منقولة عن المقتطف الاغر

جاء في ج ١ م ٣٧ بقلم محرره الفاضل في موضوع تأثير ثمن الحاصلات في المستأجر والمالك ما ملخصهُ : —

« وقد يُظن ان الخسارة من رخص الحاصلات واقعة على المستأجر لا على المالك يزعم ان هذا يأخذ ايجار ارضهِ كيفما كان الحال ولكن الامر ليس كذلك لانهُ اذا غلا السعر عن المتوسط فالربح من غلائهِ يبقى كلهُ للمستأجر ولا يستفيد المالك منهُ شيئاً واذا رخص السعر عن المتوسط فالخسارة تقع كلها على المالك لان المستأجر يتجز عن ايفاء الايجار ولا شيء عندهُ يأخذهُ المالك ولا من مصلحة المالك تجريد فلاح ارضهِ من وسائل نلاحتهِ لهُ كالماشية والتقاوي الخ ويصدق هذا على جمهور المستأجرين مع اكابر الملاك »

وفي الجزء المذكور ايضاً في موضوع دفع الايجار عيناً

« ابتاكيف ان المالك يخسر بهبوط الاسعار ولا يربح بارتفاعها ونرى ان علاج ذلك بجعل الايجار عينيًا اي مقادير معينة من كل الحاصلات التي تزرع بالارض واذا يشترك المالك والمستأجر في غلاء السعر ورخصه وغير من ذلك ان تجعل حصة المالك جزءا من المحصول بنسبة مئينية معينة مما تغلهُ الارض حتى يشترك ايضًا هو والمستأجر في خصب المحصول وجدبه » اه

وفي ج ١ م ٤٦ من مقالة بين المالك والمستأجر ما يأتي « ويمكن اصلاح هذا الخلل بان يقدر للحاصلات وقت ربط الايجار سعر ويربط الايجار بحسبهِ ويجب ان يكون هذا السعر معتدلاً اذا بيعت المحصولات به كان ربح المستأجر معتدلاً لا زائداً ولا ناقصًا ويفرض على المالك ان يشتري المحصول كلهُ او بعضهُ بالسعر الذي ربط وقت الايجار وعلى المستأجر ان يبيعهُ اياهُ بهذا السعر » الى قولهِ

ويمكن تحديد سعر القطن فقط وربط الايجار بموجبهِ والاتفاق على ان المالك يأخذهُ كلهُ بهذا السعر واذا لم يفِ ثمنهُ بكل الايجار اتم الباقي من ثمن الحاصلات الاخرى وهذه الطريقة اسهل من الاولى واصلح ولاسيما حيث يزرع القطن في ثلث الاطيان الى نصفها وحيث يكفي القطن غالبًا لتسديد الايجار الخ

وقال في انتقاد تطبيق قانون الخمسة افدنة على قيم الايجار ما ملخصهُ عن ج ٤ م ٤٣

« استأجر فلاح ارضًا باع قطنها في اول سنة بما اوفى الايجار وزيادةً ربحها مع ربح ثمن الحبوب والعلف فاشترى ماشية وثيابًا لهُ ولعائلتهِ ولكن في السنة التالية عجز المحصول او رخص سعرهُ فلم يمكنهُ ان يفي بسداد الايجار افلا يجوز للمالك ان يحجز على الماشية ويبيعها ويأخذ ثمنها

ان القانون الذي وضعتهُ الحكومة يمنع ذلك ولكن المستأجر اشترى هذه الجاموسة بما زاد من ربع الاطيان في السنة الاولى فهل يجوز لهُ ان يتمتع بهذه الزيادة وحدهُ ويترك للمالك الخسارة من ظهور الدودة وهبوط الاسعار أوَ ليس من القواعد المرعية ان الذي لهُ الغنم عليهِ الغرم

ورب معترض يقول بندورة وقوع مثل هذا الشل وان مصادرة المالك للمستأجرين بالحجز على مواشيهم وبيعها اكثر وقوعًا فنجيب بان اختبارنا يرينا ان المالكين اعقل مما يظنهم واضعو هذا القانون وانهم يفتشون عن المستأجرين ويرغبونهم ويساعدونهم بكل واسطة

ممكنة ولا يفعل ما يناقض ذلك الاَّ المالك السخيف تتضعضع احواله في النهاية او المالك الذي رأى مستأجر ارضهِ كسولاً فاسد الاخلاق واراد التخلص منهُ

و يظهر لنا ان النتيجة اللازمة عن هـذا القانون ستكون تقليل ريع الاطيان وثروة البلاد لانهُ اذا رأى المالكون صعوبة الحصول على ايجار ارضهم ابطلوا التأجير وجعلوا يزرعون ارضهم وصيةً و يستخدمون الفلاحين بالمياومة . والفلاح الاجير لا يعمل لغيرهِ نصف ما يعملهُ لنفسهِ فتكون النتيجة زيادة نفقات الزراعة وقلة المحصول . ويصدق هذا على اصحاب الاطيان الواسعة وهم يملكون اكثر من نصف اطيان القطر» الخ

وفي ج ١ م ٤٦ من مقالة لكاتب هذه السطور ما يأتي «وعندي ان الامر الاهم لصالح الملاك ليس غلاء الايجار بل جعل ايفائهِ مقدساً لدى المستأجرين ولا يكون ذلك الاَّ بحملهم على ايفائهِ من المحاصيل اولاً فاولاً حتى اذا صادفتهم سنة نكدة كان لهم من تعوُّد الايفاء واطمئنان الامل ما يصميم عن الشطط في تقدير حقوقهم وعن المماطلة في اداء الواجب عليهم

وفيما احسب ان القانون المعروف بقانون المحسنة الافدنة ستنشأ عنهُ في المستقبل آثار سيئة على التأجير وذلك متى تحقق الفلاح الصغير بالاختبار كُنه هذا القانون وان الملاك لن ينالوا منهُ الاَّ ما يقدرون على الحصول عليهِ من محاصيل الارض حال قيامهِ هو عليها وان املاكهُ ومقتنياتهِ مصونة من الحجز كيفما كان سلوكهُ

ان استئجار الفلاحين للارض هو السبيل الوحيد لمعيشتهم معيشة مرتفعة عن معيشة الاجراء فلا مسوغ ابداً لان تسري عليهم احكام قانون يراد بهِ في الامم حماية صغار الفلاحين من اشرار المرابين» اه

وهناك طبقة من المستأجرين وهي التي تستأجر المزارع الواسعة صفقةً واحدةً فتحل محل ملاكها في استغلالها بالطرق التي تروق لهم

والمختار عندهم غالباً استغلالها بطريقة التأجير القطاعي الى جمهور فلاحي المزرعة ومجاوريهم و يبذلون كل طرق التسويف والتمطيل لتأجيرها كلها وعدم بقاء شيء منها فلا يزرعون شيئاً منها لحسابهم الاَّ مضطرين وذلك لادراكهم تماماً ان ارجح وجوه الاستغلال لهم هو طريقة التأجير

ولا يلجأ مالك الى تأجير مزرعتهِ صفقةً واحدةً الاَّ اذا كان عاجزاً عن استغلالها

كما يجب لقصوره او لقصيره في ادراك الوسائل اللازمة لادارتها واجرائها كما يجب

وبما ان المستأجر الذي يحل محل المالك لا يهمهُ الاَّ انتاج اعظم ربح لهُ بأية وسيلة كانت من وسائل استغلال الارض في حاضره بدون نظر الى مستقبلها فان هذا التأجير كما يدل على عجز المالك يضر بالمزرعة قليلاً او كثيراً ويوقف تحسن ارضها الاَّ اذا كانت المزرعة رديئة في الاصل يقتضي استغلالها كما ينبغي اجراء تعديلات وتحسينات فيها وكان المستأجر قادراً اجراءها ولذا تكون المزرعة في يدهِ افضل منها في يد مالكها على ان المستأجر لا ينفذ من هذه الاجراآت غالباً كما يجب الاَّ ما يتعلق بفائدتهِ الوقتية واكثر ما يكون الضرر اذا لم يكن عليهِ مراقبة فعالة من قبل المالك

ومن فروق التأجير بين مناطق الارض ان تقل سيئاتهُ في الجهات الجنوبية حيث الارض اوفر خصباً وريعاً والاهالي اكثر عدداً وتدرة وليس كذلك الحال في الجهات البحرية الواطية حيث الارض رقيقة والاهالي قلائل وفقراء ولا يخفى ان مصاريف الفدان الواحد في المنطقتين واحدة اما المحصول فهو اقل في المنطقة الثانية منهُ في الاولى واي اهمال في الارض البحرية الواطية يسرع ظهور اثرهِ في تقليل محصولها نوعاً وكمية وفي افساد تربتها

خاتمة البحث

حينما فكرتُ في كتابة موضوع استغلال الارض حسبتُ اني سأستوفيهِ في ثلاث مقالات او اربع وما كدتُ ابتدئُ كتابتهِ بعض ابحاثهِ حتى كثرت لديَّ موضوعاتهُ وتشعَّبت فروعها حتى كنت اكتفي في بعضها بالايجاز وبالاشارة الى بعضها الآخر اذ ذكرها كلها ولو بايجاز فضلاً عن استيفائها كما ينبغي يقتضي من الوقت والمراجعة بل والمقدرة والاحاطة مالا يتيسر لفلاح مثلي لا يملك وقته لنفسهِ

فعسى ان يتقدم بعض اخواننا الزراعيين الذين مارسوا الادارات الزراعية على ذكر ما يعن لهم في موضوعات هذا البحث المهم ، ولعل معاهدنا الزراعية تُنشِّط العمل في تدوين هذا البحث فانهُ من اهم اركان الفلاحة وعلى اتقانهِ يتوقف كثير من الفوائد المادية والادبية وليس من المناسب ان يظل رجالـــ معاهدنا الزراعية سواء كانوا رؤساء او اساتذة او تلامذة غير عارفين بهِ المعرفة اللائقة

احمد الالفي
مأمور زراعة

تربية دود الحرير

اطلعت على بيان الجلسة التي عقدها مجلس التجارة الزراعية للنظر والبحث في المسائل التجارية والاقتصادية المرتبطة بالزراعة والزراع المصريين ومنها مسألة تربية دود الحرير التي حول اليها احد اعضاء هذا المجلس الانظار ببيانهِ (امكان التجارب بمصر على الاتياكاس شنتيا وهي دودة حرير هندية تتغذى بنبات زيت الخروع)

ولما كنت قد درست فن تربية دود الحرير على انواعهِ المختلفة مدة تنيف على اثنتي عشرة سنة وأجريت بعض التجارب في القطر المصري وألفت كتاباً باللغة العربية في هذا الموضوع سأبدأ قريباً بطبعهِ فقد رأيت ان لا بد لي من اصلاح الخطإ الذي ورد في ذلك البيان عن تسمية نوع دود الحرير الذي يتغذى بورق شجر الخروع وان اشرح بالاختصار الفرق بينهُ وبين ما سمي « بالاتياكاس شنتيا » وذلك بقدر ما يسمح لي به المقام فاقول :

« الاتياكاس شنتيا » موضوع بحث مجلس التجارة الزراعية صحة اسمهُ اتاكوس شنتيا *Attacus Cynthia* وهو احد انواع دود الحرير البري الاصل وطنهُ بلاد الصين ويربّى في الهند واليابان . وهو يفضّل الغذاء بورق شجرة الأيلانتوس (*Ailanto*) (اي الشجرة الباسقة ذات الرائحة الشديدة الكريهة المعبَّر عنها بلسان العامة بشجرة الورنيس الياباني وفي اللغة اللاتينية باسم إيلانتوس جلاندولوزا (*Ailanthus Glandulos*) على باقي ورق الاشجار . ولكنهُ مع ذلك قابل للتغذية بورق شجر التوت . وتربيتهُ سهلة سواء كانت في المنازل او مباشرة على الاشجار بحيث لا تدوم مدتها اكثر من ٢٥ يوماً الى ٣٠ يوماً . وهذا النوع من الدود يفقس مرتين في السنة انواحدة عادة الآن بعض فصيلاتهِ يفقس مرة واحدة والبعض الآخر ثلاث مرات سنوياً . اما جسمهُ المغشى بالوبر فلونهُ رمادي حين فقسهِ وازرق مخضرة عند قيام نموهِ و يكون طولهُ ٤ ملمترات حين ولادتهِ ثم يكبر شيئاً فشيئاً الى ان يبلغ ٨ سنتمترات طولاً ونحو سنتمتر ونصف عرضاً في اواخر عمرهِ . ولهذا الدود طريقة خاصة في عمل فيلجتهِ تميزهُ عن غيرهِ من اجناس دود الحرير فانهُ يفرش طبقة من الخيوط الحريرية على سطح احدى الورقات التي يتغذّى بها ثم يسلّ الى ساق هذه الورقة فيجمع اطراف تلك الخيوط و يربطها بهِ فتتألف منها كتلة حرير يتعلق حينئذٍ بها ثم ينسج حول جثمانهِ فيلجة طولها ٣٣ سنتمتراً وقطرها ١٣ سنتمتراً تقريباً تشبه بشكلها ثمر الزيتون . اما لونها فرمادي او اصفر باهت وحريرها خشن الملمس و يبلغ طول خيطها نحو ٥٠٠ متر الاّ

ان لعابهُ اقل جداً من لعاب حرير دود شجر التوت . وحيث انها تبقى مفتوحة على الدوام من احد طرفيها بكيفية لا تظهر معها للعين لذا كان من الصعب جداً حلها في الفور بقات الاوربية بالطرق المألوفة لحل فيالج دود الحرير الذي يتغذى بورق التوت . على ان اهل البلدان الاسيوية الذين يستغلونها يتوصلون بالرغم عما يعانونهُ من الصعوبات الجمة في حلها الى حل حريرها بالطريقة المعروفة عندهم ثم يغزلون خيوطها بالمغازل على النمط المشهور بالشرق و ينسجونها بعد ذلك بواسطة الانوال في منازلهم و يتخذون الثياب منها لانفسهم وما هذا الا لان اسعارها اقل من غيرها في اسواق تجارة الحرير . اضف الى ما تقدم ان فراش هذا الدود يمتاز عن باقي اجناس فراش دود الحرير بلونهِ الاصفر الباهت الضارب الى السمرة و بجثثهِ الكبيرة المغطاة بالسواد والبياض

اما دود الحرير الذي يتغذى بورق شجر الخروع (ولعلهُ هو المقصود بابحاث مجلس التجارة الزراعية) فاسمهُ بوتيس ار يندیا (*Bombyx arrindia*) اي الدود الهندي الاصل او بوتيس ريشيني (*Bombyx Ricini*) اي دود شجر الخروع وهو فصيلة من نوع دود الحرير المسمى انتيريا ميليتا (*Antheraea mylitta*) الهندي الاصل الذي يستغل منهُ الحرير المسمى توساه (*Tussah*) من افضل اجناس حرير الدود البري واهمها في التجارة . اما الغذاء الصالح لهُ فمن المؤكد انهُ ورق شجر الخروع ولكنهُ مع ذلك قد يتغذى بورق اشجار الاجاص او البرقوق الاسود (*Rhamnus ou amprun*) على اختلاف انواعه . وهو في بلادهِ الاصلية يعيش حراً على الاشجار عادةً الاَّ انهُ لما ادخل الى اوربا ربّاهُ بعضهم في المنازل واتبع البعض الآخر طريقة معيشتهِ الطبيعية فكانت النتيجة حسنة في الحالين . و يقضي هذا الدود في الهند ثلاث مرات في السنة يعيش في كل دفعة منها شهرين في درجة حرارة لا تقل عن الاربع والعشرين بميزان سنتجراد . اما فيالجهُ الحريرية فمؤلفة من طبقات العليا منها رمادية اللون والسفلى صفراء او بيضاء او صفراء تضرب الى الخضرة و يتراوح حجمها بين ٣٥ و ٦٥ ملليمتراً على الاكثر او بين ٢٣ و ٣٥ على الاقل . ولكل واحدة منها كتلة في احدى قمتيها شبيهة بالتي ذكرت آنفاً يختلف طولها من ٣٥ الى ٧٠ ملليمتراً . ومن الجانب الموجودة في هذه الكتلة يخرج الفراش وهو كبير الحجم بقدر الفراش الذي سبق الكلام عليهِ او اكثر منهُ قليلاً وانما يفوقهُ ببهاء منظرهِ وجمال لونهِ الرمادي الذي يخالطهُ اللونان الاحمر والاخضر على هيئات بديعة التنسيق . غير ان هذه الفيالج بعد حلها

بالطرق الخاصة يستعمل حريرها في صنع فرش اثاث المنازل او بطانة الملابس على ان قيمتهُ واسعارهُ في التجارة لا تضاهي ما يساويهِ منها حرير فيالج الدود المتغذي بورق التوت

وسأُردف هذه النبذة بنبذ أُخرى عن تربية دود الحرير موضحة بصور الدودة في ادوارها المختلفة التي تنقلب عليها من البيضة الى الدودة فالزيز فالفراشة

الفونس خلاط

اختصاصي بفن تربية دود الحرير

صباغ مصري جديد

اخبرنا جناب المستر ددجن المستشار الزراعي في وزارة الزراعة انهُ اهتم منذ ست سنوات بالبحث عن المواد التي يصبغ بها الجلد المعروف بالمراكشي صبغاً احمر . ثم رأى انهُ يمكن استخراج هذا الصباغ من ورق الذرة المعروفة بالنجيرو التي تزرع احياناً علفاً للماشي وقد استخرج بعضهُ بالماء الساخن وبعضهُ بالسبيرتو وسخن اماسنا قليلاً من الماء ووضع فيهِ قطع ورق الذرة وقليلاً من مادة قلوية مثل كربونات الصودا فصار الماء احمر قانياً

واعدنا نحن هذا الامتحان فأغلينا قليلاً من الماء ونقعنا فيهِ ورق الذرة الضارب الى الحمرة ثم اضفنا اليهِ قليلاً من كربونات الصودا وصبغنا بهِ قليلاً من القطن وخرقة من الكتان وقطعة من جلد الكفوف الابيض فاتصبغ القطن بلون احمر والكتان والجلد بلون وردي

ولا يخفى ان ورق الذرة يحسر من نفسهِ احياناً كثيرة ولاسيما عند تعفنهِ وكذلك ورق قصب السكر . والذرة نفسها قد تحسر حبوبها او تصير خمرية وكذلك قشر قصب السكر يصير احمر او خمرياً مما يدل على وجود مادة تتحول الى لون احمر او خمري . فلا غرابة اذا استخرجت هذه المادة وكان منها صباغ صالح لصبغ الجلد والصوف والقطن والكتان

وبعد نشر ما تقدم في المقتطف كتب الينا حضرة صاحب الامضاء يقول :

اطلعت في المقتطف على نبذة بعنوان « صبغ مصري جديد » عن التجارب التي اجراها جناب المستر ددجن المستشار الزراعي في المواد التي يصبغ بها الجلد المعروف بالمراكشي صبغاً احمر . وقد رأى جنابهُ ان في الامكان استخراج هذا الصباغ من ورق الذرة وورق قصب السكر بالماء الساخن وبعضهُ بالسبيرتو ممزوجاً بكربونات الصودا فصار الماء احمر فرأيت ان اقول كلمة في هذا الشأن

كنت منذ زمن مفتشاً في ولاية ماتوجروسو بالبرازيل فالفيت مزارعاً المانياً هناك

يستخرج صباغاً من ورق الموز وشجر الموز فان ورق الموز الصغير لا الكبير حين طلوعه يبتدئ يحمر احمرار عيدان الذرة حين ابتداء طلوعها . وشجر الموز بعد الطرح او قبل الطرح اذا قطع نزل منهُ حليب (لبن) مصمغ نحو كيلو غرامين . والعادة المتبعة في البرازيل انهُ اذا جرح احد او لدغتهُ عقرب او لسعتهُ حية يشقون الجرح ويضعون عليهِ الموز فينقطع الدم في الحال لان الحليب يلصق الجرح ثم يندمل . ولقد وجدت ذلك الالماني يضع حليب الموز في اناء على نار شديدة الانقاد بعد ما يصب عليهِ قليلاً من الماء وكربونات الصودا فيصير لون الحليب احمر قانياً وفي استطاعته ان يغير ويبدل اللون كما يشاء وليست العبرة بالالوان بل بالصمغ وقوتهِ . ووضع امامي ورق الكاكاو في الماء الساخن واستخرج منهُ صمغاً احمر عظيم القوة وقال ان في امكانهِ ان يستخرج صبغاً هكذا من قصب السكر الاحمر ولكن لا تكون فيهِ القوة التي تكون في الصبغ المستخرج من الموز . وهو يستخرج ذلك من غير سبيرتو

هذا وجميع الاشجار في البرازيل يخرج منها صمغ . ولا يخفى ان ورق الجيز في القطر المصري اذا قطع خرجت منهُ مادة صمغية لزجة جداً وكذلك اغصانهُ الطرية . وفي البرازيل شجر يحاكي النخل في بر مصر ولكنهُ دقيق السوق يسمولهُ جوساره يحمل حبًا صغير الحجم كحب العنب او النبق لونهُ بنفسجي وهم يستخرجون منهُ مشروباً بدلاً من النبيذ يضعون عليهِ سكراً ولهُ رائحة ذكية . جاءني يوماً تاجر بلجيكي في ولاية باراه فرأى هذا الصنف فاشترى منهُ كمية وارسلها الى بلادهِ ثم غاب ثلاثة اشهر وعاد اليَّ واشترى كل ما وجدهُ منهُ عند الاهالي . وكنت قد اجريت تجربة منهُ من غير سبيرتو فاستخرجت صبغاً بنفسجيًّا مصمغاً . وبعد شهر من الزمان تهافت التجار جميعهم على شراء هذا الصنف مع ان ثمن الكيلو غرام منهُ الف ريس اي ستة قروش ونصف قرش بالعملة المصرية . فاستفهمت عن سبب تهافتهم على شرائهِ فاتضح لي انهم يستخرجون منهُ صباغاً عظيم الفائدة . وقد اهتمت وزارة الزراعة في البرازيل بهذا الامر اهتماماً عظيماً

رمل الاسكندرية ابرام . جبريل

ضربة العصفر

العصفور او العصفر طائر صغير معروف معيشتهُ من الحبوب وهو مغرم بأكل حبوب الحنطة ولا يأكل الحشرات فكلهُ ضرر ولا نفع منهُ وقد منعت الحكومة المصرية حمل السلاح وحسناً فعلت ولكن زاد العصفر في بعض الاماكن بسبب ذلك زيادة فاحشة .

حتى ان الفيطان التي فيها اشجار بقف العصفر فيها ينقص محصول الندان منها القريب من الاشجار اردبين فاكثر عمّا اذا كان بعيداً عنها . ويظهر لنا ان المسألة مهمة جدًّا لا يصح الاستخفاف بها فاذا تعذر صيد هذه الطيور بالبارود فلا بدَّ من صيدها بالشباك او بالاشراك او بواسطة اخرى

قرأنا الآن في جريدة زراعية انكليزية ان العصفر كثر في ناحية من بلاد الانكليز فالّف فلاَّحوها جمعية لصيده جعلوا قيمة الاشتراك فيها ١٢ غرشاً من كل خمسين فداناً يدفع هذا المال جوائز للذين يقتلون العصافير فيعطى منها غرش لكل من يقتل عشرة عصافير فلم تمضِ ثلاث سنوات حتى قلَّت العصافير جدًّا في تلك الجهة وبقي عند الجمعيَّة نحو عشرين جنيهاً . ويظن امين صندوقها انهُ لا تمرُّ بضع سنوات أُخرى حتى تصير العصافير نادرة جدًّا في تلك الجهة

زراعة الرز في الدنيا

تقدر زراعة الرز في الدنيا هذا العام ويقدَّر محصولهُ بما يأتي

	المساحة	المحصول
في القطر المصري	٠٠٠ ٠٠٠ ٣ فدان	٠٠٠ ٠٠٠ ٧ قنطار
في ايطاليا	٠٠٠ ٥٧٠ ٠٠ «	٠٠٠ ٠٠٠ ١٠ «
في الولايات المتحدة	٠٠٠ ٦٦٥ ٠٠ «	٠٠٠ ٠٠٠ ٨ ٠٠ «
في جاوى	٠٠٠ ٠٠٠ ٦ «	٠٠٠ ٠٠٠ ١٠٥ «
في اليابان	٠٠٠ ٠٠٠ ٧٥ «	٠٠٠ ٠٠٠ ٢٠٠ «
في الهند	٠٠٠ ٠٠٠ ٦٥ «	٠٠٠ ٠٠٠ ٨٠٠ «
والمجموع	٠٠٠ و ٨٦ و ٨٣٥ «	٠٠٠ و ٨٠٠ و ١٣٠ «

والهند تشمل برما وسيلان . وجاوى تشمل مادورا

ويزرع في الصين نحو ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ فدان وفي الجنوب الشرقي من آسيا ٠٠٠ ٠٠٠ ٢٥ فدان وفي ارخبيل ملقا عدا جاوى ٠٠٠ ٠٠٠ ١٠ فدان وان كان متوسط محصول الفدان منها ١٣ قنطاراً بلغ محصولها ١٠٠ مليون قنطار ويضاف الى ذلك محصول اسبانيا وهو نحو ٤ ملايين قنطار ومحصول روسيا وهو خمسة ملايين قنطار فيكون محصول الرز في الدنيا كلها نحو ٢٢٤ مليون قنطار او نحو ٨٠٠ مليون اردب

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً لهمم وتشحيذاً للاذهان ولكنَّ النهضة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فعلى براءتهم كلهِ. ولا تدرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والمظهر مشتقان من اصل واحد فمناظرك مظاهرك (٢) اذا الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المشرف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ فالمقالات الوافية مع الايجاز تستحق على المطوَّلة

اصلاح خطإٍ

حضرات العلماء الافاضل اصحاب المقتطف

تحية وسلاماً: وبعد فقد رأيت في مقتطف مارس صحيفة ٢٢٩ حيث ذكرتم ترجمة الدكتور شبلي شميل الهُ، فتتبع كتابهُ (الحقيقة) ببيتين من قول حكيم العرب رابغ شعرائهم ابي العلاء المعري وهما

بربك ايها الفلك المدارُ اقصد ذا المسير ام اضطرارُ
مسيرك قل لنا في اي شيءٍ ففي افهامنا منك انبهارُ

وهذان البيتان ليسا للشاعر الاعمى بل هما لابن شبل البغدادي الحكيم الفيلسوف وهو من ادباء القرن الخامس للهجرة. وهما من قصيدة طويلة لهُ وبعدهما

وفيك ترى الفضاء وهل فضاءٌ سوى هذا الفضاء بهِ تدارُ
وعندك ترفع الارواح ام هل مع الاجساد يدركها البوارُ
وموجٌ ذي المجرة ام قرندٌ على لجج الدروع لهُ اوارُ
وفيك الشمس راقمة شعاعاً باجنحة قوادمها قصارُ
ثم قال لقد بلغ العدو بنا مناهُ وحلَّ بآدم وبنا الصغارُ
فيا لك اكلة ما زال منها طيننا ذلة وعليهِ عارُ
نعاقب في الظهور وما ولدنا ويذبح في حشا الام الحوارُ
ونتظر البلايا والرزايا وبعد فبالوعيد لنا انتظارُ
وتخرج كارهين كما دخلنا خروج القضب احوجهُ الوجارُ
فماذا الامتنان على وجود لغير الموجدين بهِ الخيارُ

[المقتطف] لقد احسنتم بتنبيهنا الى هذا الخطإ فاننا نسبنا البيتين بعيدين عن كتبنا ثم سهونا عن التحقيق وقت تصحيح المسودة . اما قصيدة ابن شبل البغدادي فقد رأيناها غير مرة في عيون الانباء والمجتبا بت ظنها لانهُ جرى مجرى اللاادريين المخلصين . ولا اشرف من الشك اذا اقترن بالاخلاص . ولكن الذاكرة غلبت عليهِ المعري لان المعري اشهر عندنا والاثنان يقترنان على وتر واحد . والظاهر ان ابن شبل اكثر سياسةً من المعري اذ قال في خاتمة قصيدتهِ

ولكن كل ذا التهويل فيهِ لذي الالباب وعظ وازدجارُ

فحسب المتعظين بالتهويل المزدجرين بهِ من ذوي الالباب ولو جارى سائر ما قالهُ قبلاً لعدم من السذج . ولكم الشكر على كل حال

الى ابناء العربية

قصيدة الدكتور احمد زكي ابي شادي في الحث على مساعدة مشروع « جمعية آداب اللغة العربية بلندن »

نِداءَ نِداءُ للنفوسِ الابيَّةِ وبثّ عتابٌ للجيوب الصحيَّةِ
دعوتُ وما للوهم ادعو وانما لأصدق ما تملي عليَّ حميَّتي
الى العلم الخفاق في كل غمضةٍ ومطلعِ غايات النُّهى الأدبيةِ
فوا اسفي ان ادهش القوم صيحتي ولم يفقهوا نصحي ازاء البليَّةِ
دعوتُ فتأمع الاموات احياء وانقضت لنا ما لنا من شوقٍ عربيةِ
وغايةُ ما نأتي من الجهد خوفُنا من الجهدِ او نشكو لعدل البريةِ
تقسّمنا الاعذارُ شتّى وتنتحي وساوسُنا منحى الشعوب الشتيةِ
وراحتْ مساعينا هباءً وأبتْ عناءً وغبنا ميتاً الرّ ميتِ
فلا لغةٌ تُرعى ولا العلم يُرتجى ولا سمعةٌ تُفدى فهل من بقيةِ
فيا امتي هُبّي الى العزّ هبةً كفى ما مضى في حيرةٍ لا رويةِ
دُعيتِ من الساعين للنصر والعُلى مراراً وذا دوريهِ فحيّ تحيتي
فما النفعُ الاّ ما اردتُ بناءهُ وما النيلُ الاّ من وراء سجيتي
همتُ بقصدي مفصحاً في بيانهِ وأرفعُ قدري عن مرامٍ خفيةِ
فما كنتُ باسم الدين صاحبَ سامةٍ ولا حيلةٍ خدّاعةٍ طائفيةِ

ولا مَنْ رأى باب السياسة مجدياً وقد اورثَ الدنيا أشقَّ وزيرِ
ولا مَنْ سعى في فتنةٍ او دسيسةٍ ولا مَنْ مشى في ثورةٍ دمويةٍ
يعظّمني ذنبي على موقفٍ سما ويثنني مدحُ النفوسِ الدنيئةِ
منايَ بلادي حرةٌ مستقلةٌ بسلمٍ وفي ظلِّ العلومِ الغنيةِ
وما تحمدني الا الصراحة والهدى وحسبي نصيرٌ من حياتي النقيةِ
جميعُ (بني مصرٍ) امدى العمر اخبرني سواءٌ لدى حسّي وروحي الوفيةِ
فداءٌ لكم عقلي ومالي وصحتي على اية حالٍ ذاك عهدي ونيتي
أرى في ائتلاف الشعب كلَّ فضيلةٍ وما شمتُ في التفريق من وطنيةِ
لقد باعدتنا الشمسُ من فرط سقمها فاكرمها اهلُ البلاد القصيةِ
فاحرى بنا ان نتردَ شعاعها فليستْ بذيّاكَ النوى بالحريةِ
أليستْ ديارُ الشرق أولى بمشرقٍ وقد وُضعتْ في رتبةٍ قدسيةِ
هياكلها لا تملأُ العينَ بهجةً اذا ما خلتْ من فخمةٍ ذهبيةِ
فيا دارَ مَنْ سادوا وشادوا خلودهم على العلمِ صُوني العلمَ أرقى مزيةِ
هو الأسُّ للباني هو السيفُ في الوغى هو الظلُّ للعافي واكرمُ حليةِ
لسانكِ ديوانٌ لكلِّ سليةٍ من الأدبِ الغالي وكلِّ زكيةِ
ومجمعُ تمدينٍ ومجدٍ مؤثلٍ وعلمٍ واخلاقٍ حسانٍ رضيةِ
وفن جميلٍ يملأُ الكونَ نورُهُ تشعُّ به أبهى القرونِ التي خلتْ
وقد سبقتْ بالظلمةِ العمجيةِ وتذكرُهُ الأمصارُ بالفخرِ والغنى
من الحرمِ الأقصى الى البندقيةِ تداعتْ به اركانُ كلِّ جهالةٍ وقامتْ عليهِ دولةُ العبقريةِ
يكرّمهُ الأعلامُ من كلِّ امةٍ وان لم ينلْ ودَّ العقولِ الغبيةِ
فهل كنتُ مَنْ يُنعى عليهِ ولوعهُ بحرمتهِ في الأزمةِ الأجنبيةِ
وفي الغنى يومي وماضي عشيرتي ومظهرُها الباقي وراءَ منيتي
وفيها من الآمالِ كلُّ مقدسٍ ومن نُخَبِ العرفانِ كلُّ صفيةِ
اذا نُشرتْ في امةٍ كان حظُّها هناءً وان عزّتْ سمتْ بالرعيةِ
اذا عُدّتِ الاسبابُ للبأسِ لم تكنْ بآخرها شأناً وللمدنيةِ

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة هذا المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل النشر فليصرّح باسمه عند ادراج سؤاله فنذكر ذلك لنا ويعتبر مرموزاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرّرهُ سائله فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كان

(١) اساس الاحكام الانكليزية

مصر . محمد افندي سعفان بمدرسة القضاء الشرعي على ماذا يستند القاضي الانكليزي في حكمهِ اذا كانت القوانين الانكليزية غير مقررة كما يقال

ج . على العقل والعرف ولوائح الحكومة وقراراتها والاحكام القديمة التي اصدرها مشاهير القضاة والقواعد الكلية المستنبطة منها ومن مباحث الفلاسفة الذين بحثوا في الحقوق الطبيعية

(٢) اقدم جريدة مصرية

ومنهُ . ما اقدم جريدة صدرت في مصر

ج . جريدة كانت تصدر في عهد الاحتلال الفرنسوي

(٣) الجمعيات الماسونية

مصر . اخواجه ابلي بلتنر ما فائدة الجمعيات الماسونية

ج . الغرض الاول من الماسونية التعاون على البر فاذا قام اعضاؤها بما يطلب منهم وتعهدوا به عاشوا عيشة فاضلة وساعدوا بعضهم بعضاً في كل ما ينفعهم ولا يضرُّ غيرهم

(٤) سلك الماسونية

ومنهُ . سمعت ان في بلدان اوربا ينتظم في سلك الماسونية كثيرون من ذوي المقامات كبعض اعضاء العائلات المالكة فهل ذلك صحيح وما الداعي لاشتراكهم فيها

ج . ذلك صحيح وفي الماسونية مرغّبات اخرى للاشتراك فيها غير ما تقدم مثل الرتب والياشين وحفلات الانس . والملوك واصحاب المقامات اميل من غيرهم الى هذه الامور فلا عجب اذا اشتركوا في الماسونية بل العجب اذا لم يشتركوا فيها

(٥) النساء والماسونية

ومنهُ . هل تقبل النساء في الجمعيات الماسونية او هي خاصّة بالرجال

ج . ان بعض الجمعيات الماسونية يقبل النساء بين اعضائها ولكنها قليلة والغالب انها خاصة بالرجال

(٦) علاج الانس والزهري

مصر . زايد افندي عبده . نرجو افادتنا

في مجلتكم عن معالجة السل والزهري والرمد وهل تشفى هذه الامراض بطرق العلاج الحديثة وهل ثبت انها كلها من الامراض المعدية

ج · لقد نشرنا مقالات كثيرة سيفة المقتطف في معالجة هذه الامراض وغيرها ولكن مقالات المجلات مهما اتسعت لا تغني عن الطبيب الذي يشاهد المريض ويرى سير المرض وكل الاحوال الخصوصية في سنهِ وبيئتهِ ووراثتهِ واحوال معيشتهِ وتأثير العلاج فيهِ فان هذه الاحوال تختلف باختلاف الاشخاص فيجب ان يتولّى العلاج بحسبها · والسل يشفى غالباً اذا كان لا يزال في درجتهِ الاولى وقد يشفى في الدرجة الثانية ايضاً وقلما يشفى في الثالثة · والزهري يشفى غالباً في كل درجاتهِ ولكن قلما يزول تأثيرهُ من الجسم · والرمد يشفى دائماً اذا عولج العلاج المناسب وهذه الامراض مُعْدية كلها

(٧) تعلم لغة اجنبية

المرابعين · احمد افندي الالفي · اريد ان اتعلم لغةً اجنبية بطريقة توفر عليَّ كل ما يمكن توفيرهُ من الجهد والوقت فما هي الطريقة الفضلى لذلك

ج · ان تعلُّم لغة اجنبيَّة يتوقف على ثلاثة امور الاول ان يكون في المرء ذاكرة قوية وميل الى تعلُّم اللغات الاجنبيَّة · والثاني ان يكون في سعة من الوقت ليدرس ساعات عديدة كل يوم · والثالث ان يجد مدرّساً يعرف كيفية تدريس اللغة ويرغب في تدريسها · فاذا كنتم ترغبون في درس لغة اجنبية وانتم في سعة من الوقت لتعلمها فلا يبقى الاَّ ان تجدوا المدرس الذي يعرف اساليب التدريس ويرغب فيهِ · ولا يسهل ان تجدوا مدرساً كذلك وقلما تجدون مدرسةً تصلح للتدريس وترضى ان تنقطع لتدريسكم

(٨) الكفاءات الالمانية

ومنهُ · ألا ترون ان الكفاءات الالمانية التي اشتهرت الآن اكبر من ان توصف بالوصف الذي وصفها بهِ مؤلف سر تقدُّم الانكليز الكسونيين

ج · لا يمكن الحكم على الكفاءات الالمانية الاَّ بعد انتهاء الحرب جرياً على المثل الانكليزي القائل ان الذي يضحك حقيقة هو الذي يضحك اخيراً · او كما نقول نحن الامور بعواقبها والعاقبة للمتقين · ومن المرجح عندنا انهُ لا ينقضي هذا العام حتى يثبت ان الكفاءات الالمانية دون غيرها · نعم ان الكفاءة الالمانية لا تنكر ولكن ظهر اولاً انها اقوى من غيرها لحيلة كان يجب ان يترفع الناس عنها وهي التستر التام في الاستعداد للفتك بالغير واخذ العدو على غرَّة فان كبار النفوس حتى في زمن البداوة كانوا يترفعون عن هذه الحيلة ويأتون عدوهم جهاراً في رائعة النهار لا في الخفاء ولا في الظلام

(٩) ثدي الرجل

الاسكندرية · ابرهيم افندي راشد · ما الفائدة من وجود الثدي في صدر الرجل

ج لا فائدة منهُ ويقول علماء البيولوجيا انهُ عضو اثري يدل على انهُ كان للرجل ثديان للرضاع كثديي المرأة ثم صغرا رويداً ورويداً حتى اخلصت المرأة بارضاع الطفل فصارا اثريين في الرجل · واذا صحَّ لنا ان نبدي رأينا في هذه المسألة ارتأينا ان وجود الثدي (او الثندوة) في صدر الرجل ناتج عن كون دقائق البيضة الملقحة تحتوي جراثيم من كل الاصول التي في جسم الاب وفي جسم الام وتنشأ منها الجنين ذكراً او انثى حسب كون اكثرية الجراثيم المميزة آتية من الاب او من الام · لكن كون اكثرية الجراثيم المميزة للذكر آتية من ابيهِ لا تمنع ان يكون فيهِ بعض الجراثيم المميزة من امهِ وفي جملتها جراثيم من الثديين غير انها لا تكوّن ثديين كبيرين اما لضعفها او لان سائر الجراثيم المميزة للذكر تحول دون نموها

(١٠) الفائدة من بناء الاهرام

ومنهُ · ما الفائدة من بناء الاهرام على هذه الحالة من المتانة

ج · يظهر ان الذين بنوها قصدوا التباهي بمجدهم وقوتهم فارادوا ان تكون مدافنهم اعظم من مدافن الملوك الذين كانوا قبلهم او من اعظم ما يستطيعون انشاءهُ وامتنهُ كما يفعل الناس الآن في بناء مدافنهم · ومن المحتمل انهم قصدوا ان تكون خائفة لتي اجسادهم من غير الزمان لاعتقادهم بخلود الاجساد وعود النفوس اليها او بشعورها بما يصيبها بعد الموت

(١١) الحيوانات الثديية التي تبيض

الزقازيق · ما هي الحيوانات الثديية التي تبيض

ج · هي الأرنيثورلكس Ornithorhynchus اي ذو المنقار الطائري لان لهُ منقاراً مثل منقار البط والاخدنا Echidna وهي حيوان صغير يأكل النمل فالحيوانات التي من هذين النوعين تبيض بيضاً وبيضها شبيه ببيض الطيور والزحافات ولما اثدٍ ترضع اجنتها منها مثل اثدي باقي ذوات الثدي · وسنعود الى وصفها في فرصة اخرى

(١٢) اختيار الزوجة

ومنهُ · شاب امامهُ فتاتان الاولى جميلة لم تتعلَّم تربت في وسط ريفي طيبة الاخلاق يميل اليها قلبهُ · والثانية اقل من الاولى جمالاً متعلمة ولا تقل عن الاولى في طيبة الاخلاق وهي من بيت مدني يؤدي تزوجهُ بها الى رفعهِ الى طبقة اعلى من طبقتهِ يميل اليها عقلهُ · فايهما ترون انهُ يسعد بتزوجها هو وذريتهُ

ج · لقد تركتم من الوصف امرين جوهريين الاول ميل الفتاة والثاني صحتها فان

رغبة الفتاة وصحتها يجب ان تحسب من اهم دعائم السعادة البيتية فاذا تساوت الاخلاق والصحة قليل وكان الفرق بينها محصوراً في الجمال والعلم والوجاهة فالعلم والوجاهة يفوقان الجمال على شرط ان يكون الشاب متعلماً ووجيهاً او متعلماً وقادراً على مجاراة الوجهاء والأ صغر في عيني زوجهِ وترجح ان لا يعيش معها عيشة الهناء

(١٣) مرض بط

الاسكندرية ط ر . لي اخ في التاسعة من عمرهِ مرض في اوائل يناير سنة ١٩١٦ بمرض في الاعصاب ظُن في بادىء الامر انهُ روماتزم فعولج بالاسكندرية فلم يشف فسافرنا بهِ الى حلوان في شهر ابريل سنة ١٩١٦ ومكث بها نحو اربعة اشهر فلم يشف ايضاً ولم يمكنهُ المشي فعرضناهُ اخيراً على حضرة الدكتور سليمان عزمي بك فقرر انهُ مريض في آخر عظمة من عظام العمود الفقري تسبب عنهُ ضغط في النخاع وهذا هو السبب في تألمهِ وعدم قدرتهِ على المسير واشار بتجبيسهِ ولا علاج لهُ سوى ذلك او وضع الجزء الاسفل من جسمهِ في صندوق يصنع خصيصاً لذلك فعدنا بهِ الى الاسكندرية موطننا وعملنا لهُ لجنة استشارية دفعتين فقرروا كما قرر حضرة الدكتور عزمي بك

وقد مضى على هذا الغلام اكثر من عام وهو طريح الفراش لا يقوى على الجلوس او المشي وصحتهُ العمومية جيدة

فهل تتكرمون حضراتكم بنشر ذلك والافادة على صفحات مجلتكم الغراء عن اصل هذا المرض وعن علاجهِ

ج اذا كان الاطباء الذين رأوا اخاكم وفحصوهُ قد قرروا انهُ مصاب بهذا المرض المسمَّى مرض بُط Pott فيجب الاعتماد على علاجهم . ولولا قرارهم هذا لظننا ان اخاكم مصاب بالتيبس المعروف بالمياجو lumbago وعلاجهُ بسيط

(١٤) البيرة والشعير

يراغشنا بالبرازيل . الخواجات نون وخوري . نقولون ان البيرة تصنع من الشعير المحمَّر . ومرَّة سألت صاحب معمل ليعطيني انموذجاً من الشعير الذي عندهُ لاستورد منهُ من سورية فاعطاني ولكنهُ كان محمصاً وقال من هذا تصنع البيرة فهل تصنع من الشعير غير المحمَّص ايضاً

ج ان الشعير المحمَّص كان غير محمص فانهُ ينقع اولاً في الماء حتى يبتل جيداً ويكاد يفرخ أي حتى يتحوَّل بعض النشا الذي فيهِ الى سكر ثم يجفف في فرن حتى يتحمَّص وبعد ذلك ينقع وتصنع البيرة منهُ . والظاهر ان الذي سألتموهُ لم يشأ ان يخبركم عن كل عملية البيرة او ان العملية هناك مقسومة بين معملين الواحد يبل الشعير ويحمصهُ والآخر يصنع البيرة منهُ

باب الاخبار العلمية

اوجه القمر في شهر ابريل

	يوم	ساعة	دقيقة	
البدر	٧	٣	٤٩	مساء
الربع الاخير	١٤	١٠	١٣	٠
الهلال	٢٠	٤	١	٠
الربع الاول	٢٩	٧	٣٢	صباحاً
القمر في الاوج	٢	٩	١٣	٠
٠ ٠ الحضيض	٨	٥	١٢	٠
٠ ٠ الاوج	٣٠	٤	١٢	٠

السيارات

عطارد والمشتري كوكبا مساء

الزهرة لا تشاهد

المريخ لا يشاهد في اول الشهر ثم يصير كوكب صباح في آخره

زحل يغرب نحو الساعة ١ صباحاً

مدرسة الدروس الشرقية البريطانية

انبأتنا التلغرافات انهُ احتُفل في ٢٣ فبراير الماضي بافتتاح مدرسة اللغات الشرقية البريطانية التي أُنشئت في مدينة لندن وحضر الافتتاح جلالة الملك الاكبر والملكة وابنتها البرنسس ماري فافتتح الاحتفال السر جون هوت بخطبة اجابهُ عليها الملك ومما قالهُ الملك في خطبتهِ انهُ يسرني جداً ان أحسب حامياً لمدرسة الدروس الشرقية وانا على غاية السرور لاني شاركتكم اليوم في افتتاح هذا البناء الجميل الذي ستدار المدرسة فيهِ من الآن فصاعداً . ولا ابالغ معها اطنبت في اهميتها لانها ستمهد للرجال الذين كان منهم روّاد حسن الادارة ومقومات النجاح في الهند ومصر فرصاً جديدة للدرس والبحث وتجهز بمعارف فنية جديدة روّاد الصناعة والتجارة الذين يأخذون على انفسهم جيلاً بعد جيل الاحتفاظ بشهرة بريطانيا الصناعية والتجارية في البلدان الشرقية . وسيأول عملها الى توثيق عرى الصداقة القائمة الآن بين رعاياي وبين اليابان حليفتي في اقصى المشرق . و ينتظر من هذه المدرسة اكثر من ذلك ايضاً وهو انها اذا فازت في حمل الطلبة الذين يرسلون الى البلدان الشرقية كمعلمين يعلمون الحكام ان يحكموا بالعدل والتجّار ان يتاجروا لنفع الناس — على فهم حقيقة افكار الشعوب الشرقية المختلفة وعاداتهم فوائد هذا الفوز تمتد الى ابعد من النجاح المادي القريب

ان لعلوم الهند وفنونها شأناً كبيراً في تاريخ البشر وانا اتوقع من هذه المدرسة ان تبث في نفوس شعبي ميلاً شديداً الى الامور العقلية التي اختصت بها تلك البلاد العظيمة وان تؤيد العلماء المشتغلين بالبحث فيها لفائدة البلادين

وابدى الملك اسفهُ الشديد لان المنية عاجلت لورد كرومر قبلما رأى هذا الاحتفال بافتتاح هذه المدرسة لاسيما وانهُ كان يقدر لها الشأن الاكبر وكان يقول ان الامبراطورية البريطانية اجدر كل الممالك بالاهتمام بالدروس الشرقية والافتخار بها

ثم خطب اللورد كرزن (حاكم الهند الاسبق) فقال ان لورد كرومر قد وجه الى انشاء هذه المدرسة من الهمة والمواظبة وحسن الادارة ما امتازت بهِ اعماله كلها فانهُ ما من شيء كان اصغر من ان يستحق اهتمامهُ او اكبر من ان يعجز عن الاحاطة بهِ . ثم قال لقد زعم البعض ان الشرق والغرب لا يلتقيان اما هو فيرى ان الفاصل الذي بينهما سيزول واذا لم تتمكن هذه المدرسة من الوصل بين نفوس الشرقيين ونفوس الغربيين خاب اعتقادهُ فيها

حقائق في ارضاع الاطفال

ظهر حديثاً مؤلف انكليزي بقلم الدكتور لاين كلابيون عنوانهُ اللبن وصحة الجمهور نشر بعناية لجنة المباحث الطبية . وخلاصة ما جاء فيهِ عن ارضاع الاطفال بالطبيعة والصناعة (١) ان الارضاع الطبيعي يفوق الصناعي فوقاً ظاهراً . (٢) ان لا فرق على ما يظهر بين اطعام الطفل لبناً مغلى واطعامهِ لبناً غير مغلى . (٣) ان التغيير الذي يطرأ على اللبن بعد اغلائهِ مدة وجيزة لا يضرُّ بهِ من الوجهة الغذائية . (٤) قد يكون ثمة علاقة بين مرض بارلو (اسكربوط الاطفال) واغلاء اللبن مرتين ولكن تلك العلاقة غير واضحة . (٥) ليس هناك دليل ثابت على ان شرب الاطفال اللبن المغلى يولد فيهم الكساح

اسعار الحبوب في المستقبل

طُلب من الفلاحين في هذا القطر ان يكثروا من زرع الحبوب اي من زرع القمح والذرة ووعدت مصلحة الري ان تقدم لهم الماء الكافي لزراعة الذرة الصيفية اذا ارادوا زرعها وهو ترغيب حسن قد يعمل بهِ الفلاحون ولكن المرغب الاكبر للفلاحين في توسيع نطاق الزراعة والقان خدمتها هو الربح منها فاذا ارتفعت الاسعار حتى تحقق الفلاح انهُ يربح من زراعتهِ ربحاً يفي بنفقاتهِ ويسدد منهُ ايجار الاطيان بسهولة ويبقى لهُ ما يقوم بمعيشتهِ فانهُ يرغب في الزرع والخدمة والا فلا . فلو شُفع ترغيب الفلاحين في زرع الحبوب بوعد من الحكومة انها تشتري

منهم اردب القمح مثلاً بمئتي غرش على الاقل واردب الذرة بمئة وخمسين غرشاً لزادت الرغبة في الزرع والخدمة اضعاف ما تزيد الآن بهذا الترغيب البسيط ولها اسوة بالحكومة الانكليزية التي وعدت فلاحي بلادها ان تشتري منهم كوارتر القمح بستين شلناً على الاقل سنة ١٩١٧ وبخمسة وخمسين شلناً على الاقل سنة ١٩١٨ و١٩١٩ وبخمسة وار بعين شلناً على الاقل سنة ١٩٢٠ و ١٩٢١ و ١٩٢٢ . والكوارتر نحو اردب ونصف . ووعدت الحكومة الانكليزية ان تشتري طن البطاطس بستة جنيهات على الاقل

التحكم في نمو الجسم

روت الدايلي مايل الانكليزية ان الدكتور روبرتسن استاذ علم الكيمياء المختصة بالاجسام الحية (والمعروفة باسم بيوكيميا او الكيمياء الفسيولوجية) في جامعة كليفورنيا استخلص من الغدة النخامية (الواقعة في اعلى الانف من الداخل متصلة بالدماغ) مادة تؤثر في نمو الجسم وتحكم فيه . والمعروف منذ سنة ١٨٨٦ ان مفرزات هذه الغدة تؤثر في نمو الجسم وذلك حينما اكتشف الدكتور ماري المرض المنسوب اليه او المعروف باسم اكرومجاليا وهو مرض مزمن أظهر اعراضه تضخم عظام اليدين والرجلين والوجه . وفي سنة ١٨٩٥ استخلص الطبيان اوالمر وشايفر من الغدة المذكورة مادة تؤثر اعظم تأثير في النسجة العضلات غير المخططة وفي جدران الاوعية الدموية اما المادة التي تتحكم في نمو الجسم فلم تكتشف قبل اكتشاف الدكتور روبرتسن لها اذا صحت رواية الدايلي مايل

الحروب والامراض

كان قتلى الامراض في معظم الحروب القديمة اكثر من قتلى السلاح . وفي بعض الحروب الحديثة كحرب الترنسفال مثلاً بقي فتك الامراض شديداً مع كل ما بذل من العناية في اتقائها . اما في الحرب الحاضرة فلا يكاد قتلاها يذكرون في جنب قتلى المدافع . فقد خطب السر الفرد كيو المدير العام للمصلحة الطبية في الجيش الانكليزي خطبة في المجمع الملكي للصحة العمومية في ١٤ فبراير الماضي فقال ان عدد اصابات التيفويد حينئذٍ في الجيش الانكليزي الذي في الميدان الغربي خمس فقط واصابات الباراتيفويد ثماني عشرة اصابة وهناك ٧٠ اصابة او ٨٠ اصابة مشتبهاً فيها . وقال ان سبب قلة الاصابات بالتيفويد هو التلقيح الواقي منها وسبب قلة سائر الامراض هو الطعام الجيد والعناية بالوسائل الصحية . ومما قاله ايضاً ان صحة الجيوش في جميع الميادين احسن منها في زمان السلم

وجاء في بيان تلي في مجلس النواب الانكليزي ان عدد اصابات التيفويد بين

رجال الجيش الانكليزي في جميع الميادين بلغ من اول الحرب حتى اول نوفمبر الماضي ٦٨١ واصابات البارانيفويد ٢٥٣٤ . اما في حرب الترنسفال فقد بلغت الاصابات بهما ٦٠ الفاً والوفيات ٨٢٢٧

ومما يدلُّ على فعل التلقيح الواقي من التيفويد ان عدد الذين اصيبوا بهاولم يتقحوا بلغ ١٥ ضعف الذين اصيبوا بها بعد التلقيح . وعدد الذين توفوا بها من اهل الفئة الاولى سبعون ضعف الذين توفوا بها من اهل الفئة الثانية

اهتداء الطيارات الى اماكن نزولها

استنبط الالمان طريقة لاهتداء الطيارات الى اماكن نزولها ليلاً وذلك انهم وضعوا في الساحة التي تنزل فيها الطيارة مصباحاً كهربائياً ابيض ساطعاً جداً جعلوهُ في حفرة في الارض وغطوهُ بلوح ثخين من الزجاج ووضعوا الى الشرق والغرب والشمال والجنوب منهُ اربعة مصابيح كهربائية حمراء وكل منها يبعد عن المصباح الاوسط ٢٥٠ قدماً وهو متصل بعمود فيهِ دليل للريح فلا ينير المصباح الأَّ اذا كانت الريح تهبُّ من تلك الجهة فيرى الطيار المصباح الاوسط فيعلم اين يجب ان ينزل ويرى احد المصابيح الحمراء فيعلم جهة مهب الريح ويعرف كيف يتجه في نزولهِ

المقاييس الانكليزية

ارتأى كثيرون من الكتاب الانكليز من عهد طويل ان يلغى نظام المقاييس المتبع في انكلترا من موزون ومكيل وممسوح ويقتبس مكانهُ النظام العشري او المتري المتبع في فرنسا على ان منهم من لا يستصوب هذا الابدال بل يقول بوجوب ابقاء النظام الحالي بعد ادخال بعض التغيير عليهِ . ومما اقترحوهُ زيادة الرطل الانكليزي بحيث يساوي نصف كيلو غرام اي زيادتهُ ١٠ في المئة وزيادة الجالون الحالي ١٠ في المئة ايضاً بحيث يساوي ٥ لترات وبذلك لا يتغير التعريف الرسمي للجالون وهو عشرة ارطال من الماء المقطر . ولكن مجلة نايتشر ترى انهُ اذا كان لا بدَّ من تغيير نظام المقاييس الحاضر فخير الامور اقتباس النظام العشري كلهِ

الاشربة الروحية

بلغ ثمن الاشربة الروحية التي بيعت في بلاد الانكليز في العام الماضي اكثر من ثمني مليون جنيه وكانت سنة ١٩١٤ نحو ١٦٤ مليون جنيه فقط مع ان ثلاثة ملايين من رجال الانكليز هم الآن خارج بلادهم . ولكن المرجح ان هذه الزيادة في ثمن ما شرب من الاشربة الروحية ناتجة عن غلائها لا عن زيادة مقدارها

مصائب الحرب

انشأ الدكتور دياس من مشاهير اطباء فرنسا مقالة في مجلة « رفودي باري » عن تأثير الحرب في اعصاب الجنود وانواع الخبل الذي يعتري فريقاً منهم فقال ان الخبل الذي شاهدتهُ في معظم الجنود في مستشفيات المجاذيب نشأ عن ارتجاف عصبي سببهُ الاضطراب والذعر . فالمصابون بهذا النوع من الخبل يستولي عليهم الرعب وتصيبهم نوبات عصبية شديدة من سماعهم اقل دوي يذكرهم بدوي المدافع في ميدان القتال . وقد فحصت ٣٤٨ مصاباً منهم في الاشهر الماضية فوجدت ان بينهم ٦٥ جندياً فاقدي النطق لا يستطيعون الاجابة عن الاسئلة التي تلقى عليهم الا كتابة وهم يتغربون كيف يتفاهم الناس بالكلام . واذا امر احدهم بان ينطق وفهم الامر فتح فمهُ وزفر زفيراً شديداً ولكنهُ لا يحرك لسانهُ ولا شفتيهِ وعبثاً كنا نحاول ان نحملهُ على الافتداء بنا في تحريك الشفتين واللسان

ومن اهم الاعراض التي شاهدتها ان بعض المصابين بالاضطراب العصبي تكثر ظهورهم ويقولون انهم لا يستطيعون الوقوف منتصبين لشدة الالم . وقد وصف احد تلامذة السوربون الاعراض التي اصابتهُ فقال للدكتور دياس : « انفجرت قنبلة على مقربة مني فاحدثت دوياً شديداً افقدني رشدي ولم اعد الى صوابي الا بعد دخولي المستشفى فبقيت فيهِ ثلاثة ايام لا استطيع التفكير ولا النطق وكنت ارى نوعاً من الحشرات حولي واسمع ازيزاً احالهُ دوي المدافع فيعتريني الخوف ويأخذ مني الذعر مأخذهُ فاغيب عن صوابي واعود لا اشعر بشيء »

ومن انواع الخبل الذي يعتري الجنود عادة نسيانهم كل ما جرى في حياتهم وقد قال الدكتور دياس في مقالتهِ المشار اليها انهُ رأى ضابطاً لا يستطيع القراءة ولكنهُ يستطيع ان يرسم الكتابة رسماً بديعاً متقناً لا يفرقهُ الناظر عن الاصل

ومن رأي الدكتور دياس ان هذه الاعراض قد لا تزول تماماً في المستقبل وانهُ ينبغي للحكومات ان تنظر في شؤون هؤلاء المساكين لتعولهم بعد الحرب

الحديد في كندا

سبكت بلاد كندا ١٠٤٦١٨٥ طناً من الحديد سنة ١٩١٦ وسبكت ٨١٥٨٧٠ طناً سنة ١٩١٥ و ٦٩٩٢٥٦ طناً سنة ١٩١٤ فالحرب زادت مقدار المسبوك لغلاء سعره وكثرة الطلب عليهِ . وقد صنعت من الصلب ١٢٧٠٩٦٩ طناً سنة ١٩١٦ ولم تصنع سوى ٨٧٦٥٦١ طناً سنة ١٩١٥

القرض الانكليزي الحديث عنوان الثروة

طلبت الحكومة الانكليزية من شعبها مالاً جديداً لمواصلة الحرب دعتهُ قرض النصر وجعلت فائدتهُ ٥ في المئة سنوياً فبلغ المال الذي قُدِّم لها اكثر من الف مليون جنيه من ذلك ٨٢٠ مليون جنيه اموال جديدة اكتتب بها الجمهور بواسطة بنك انكلترا و٣١ مليون جنيه اكتتب بها بواسطة مصلحة البوستة و ١٩ مليون جنيه بواسطة شهادات التوفير الحربية و ١٣٠ مليون جنيه سندات قديمة ابدلت بسندات جديدة من سندات هذا القرض

اصنام المصريين القدماء

نشر الاستاذ فلندرس بتري مقالة في مجلة « مصر القديمة » موضوعها آثار الموتى. وقد قال فيها ان المصريين القدماء كانوا يحفظون بعض آثار موتاهم في منازلهم واهمُّ هذه الآثار رؤوسهم اقتبسوا هذه العادة عن بعض متوحشي افريقية. على انهم حرصاً على مصلحة الاموات انفسهم رأوا ان يعيدوا رؤوسهم فيما بعد الى قبورها معتاضين عنها باحجار نقشت على اشكال الرؤس وهيئات الوجوه فكانت من ذلك الاصنام. وغرضهم من هذه الاصنام المحافظة على صورة الميت اذا فقد رأسهُ الحقيقي

مثل من طوال الاعمار

توفي حديثاً رجل انكليزي عمرهُ ١٠٥ سنوات. فانهُ ولد سنة ١٨١٢ وهي السنة التي غزا نابليون الاول فيها روسيا حتى اذا بلغ موسكو احرقها اهلها وكان من امرهِ ما كان. وبقي هذا الرجل يستخرج الذهب من مناجم كليفورنيا واوريجون في اميركا حتى بلغ السادسة والثانين من سنهِ ثم انقطع للبحث عن الذهب في ولاية كولمبيا الانكليزية وبلاد يوكون الشمالية المعروفة بشدة بردها وجمدها فاقلع كثيراً وذلك بعد مجاوزتهِ العقد الثامن اي ضعفي السن التي صاح فيها الشاعر العربي مستغيثاً معتذراً عن كلال حدّ مخيلتهِ ونضوب معين قريحتهِ فقال

وماذا تبتغي الشعراء مني
وقد جاوزت حدّ الاربعين

اهتزاز الهواء

يهتز الهواء بالصوت اهتزازات يبلغ اكثرها في الصوت المسموع نحو ٦٠٠٠ اهتزازة ولكن لا شبهة في انهُ يهتز اهتزازات اسرع من هذه. لا تشعر بها اذن الانسان وقد ارتأى بعضهم الآن ان تبدل الهمّة اهم آلة تمكن الانسان من ان يشعر باهتزازات الهواء ولو بلغ عددها مليون اهتزازة في الثانية من الزمان

الطيور والزراعة

الطيور على ثلاثة انواع نوع يأكل الحشرات والمواد الحيوانية لا غير ولا يأكل الحبوب مطلقاً وهذا النوع مفيد للزراعة الاّ اذا اكل الحشرات التي تفترس غيرها لكن فائدتهُ اكبر من ضررهِ من هذا القبيل . ونوع يأكل الحشرات والحبوب فيكون نفعهُ او ضررهُ على نسبة الاكثار من اكل الحشرات او الحبوب ونوع يأكل الحبوب فقط وهو ضار حتماً فيجب صيدهُ واستئصالهُ ان امكن

السمك الذهبي

اقام رجل ياباني اسمهُ موراتا في سان فرنسسكو باميركا وجعل يربي فيها السمك الذهبي ويبيعهُ للسكان و يقال ان عندهُ الآن من هذا السمك ما يساوي ثلاثين الف جنيه وان رجحهُ السنوي يبلغ اربعة آلاف جنيه وعندهُ نوع من السمك رأسهُ يشبه رأس الاسد وهو يبيع السمكة منهُ بثلاثين جنيهاً

الجاذبية والحرارة

كان الظنون حتى الآن ان حرارة الاجسام المتجاذبة لا تؤثر في ما فيها من قوة الجذب بعضها لبعض ولكن ظهر من تجارب حديثة جربها الدكتور شو ان للحرارة تأثيراً في قوة الجذب التي في اكبر الجسمين المتجاذبين . الاّ ان هذا التأثير طفيف جداً

نقص المواليد في المانيا

بلغت المواليد في برلين في الاسبوع الذي آخرهُ ٣٠ دسمبر الماضي ٣٢٦ مقابل ٣٣١ مولوداً في امستردام اكبر مدن هولندا اي ان مواليدها تكاد تكون متساوية مع ان سكان برلين يبلغون نحو ثلاثة اضعاف سكان امستردام . وبلغت المواليد في مدينة ليبتسك نصف مواليد امستردام مع ان سكان الاولى يزيدون ٥٠ الف نفس على سكان الثانية . وقد سبب نقص المواليد في برلين نقص الزواج وزيادة الوفيات

الاعتقاد بالارواح الشريرة

ربما كان اهل كور يا اشدّ الناس اعتقاداً بالارواح الشريرة فهم يعزون اليها كل شرّ ونحس وخسارة نفوذاً ومنصب وخصوصاً كل مرض ولذلك كثر عندهم الرقاة والسحرة والمشعوذون والمشعوذات والنفاثات في العقد والضوارب بالحصى . وكثير من السحرة عميان ولعل سبب الاعتقاد على العميان في مثل ذلك اعتقاد الامم المتوحشة او التي تمدنت قليلاً بان الذين حرموا بصرهم اعطوا بدلاً منهُ بصيرة شديدة

وفاة طبيب شهير

نعت صحف اسوج الدكتور ادوارد فلندر الطبيب الشهير المختص بالامراض الزهرية ومعالجتها بالزئبق . وقد بلغ من عنايته وتدقيقه انهُ قبل وفاته بساعة واحدة حضر من الزئبق وجعل يتتبع سيرهُ في جسمه بواسطة صور فوتغرافية اخذت باشعة اكس . وحارب هذه الامراض ايضاً بانشاء مستشفى لتربية الاولاد الذين ابتلوا بالزهري بجناية آبائهم ثم حذت العواصم الاوربية حذوهُ في ذلك

زراعة القصب واتقان الزراعة

تزرع بلاد الهند ٢٥٠٠٠٠٠٠ فدان من قصب السكر ولا تشتغل منها الاَّ ٢٦٠٠٠٠٠٠ طن من السكر اي ان غلة الفدان فيها نحو طن فقط مع ان غلتهُ في جاوي اربعة اطنان وفي القطر المصري نحو خمسة اطنان وفي جزائر هواي تسعة اطنان

مجموعة اسلحة اللورد كتشنر

كان عند اللورد كتشنر اسلحة شرقية قديمة جمعها من الهند وايران والصين واليابان والسودان وغيرها . وقد أعارها اوصياء تركته لمجلس كونتية لندن ليعرضها في معرض ينوي اقامتهُ قريباً

النار اليونانية

بعث الاستاذ زنطلس الى اكادمية العلوم بباريس رسالة عن النار اليونانية قال فيها ان موادهذه النار كانت ملح البارود وبعض المواد القابلة الاشتعال كالكبريت والفحم والقلفونة والزيت . وان اول من ذكرها ثيوفانوس المؤرخ سنة ٧٥٠ للميلاد اذ قال ان كلينيكوس البلبكي استخدم هذه النار في دفع سفن العرب عن القسطنطينية في عهد الامبراطور قسطنطين الرابع سنة ٦٧٢ وقال ان كلينيكوس كان يقذف المواد المشتعلة من انبوب في مقدم سفينته فتبقى مشتعلة ولو غاصت في الماء

بلوغ القطب الشمالي بالطيارة

ينوي احد سن الرحالة النروجي الشهير محاولة بلوغ القطب الشمالي بالطيارة ومبدأ رحلتهُ هذه في صيف السنة القادمة فيقصد القطب من شمال اوربا ويقصده رحالة آخر انكليزي اسمهُ بارتلت بطريق بوغاز بيرنغ فيلتقيان فيهِ اذا اسعدهما الحظ

اقوى المصابيح الكشافة

صنع الاميركيون مصباحاً كهربائياً كشافاً نورهُ يعادل نور مليون وخمس مئة الف شمعة والغرض منهُ اكتشاف الطيارات والبالونات اذا كانت طائرة في ظلام الليل

فهرس الجزء الرابع من المجلد الخمسين

صفحة

٣١٣ الحياة بعد الموت (مصوّرة)

٣٢١ انحطاط البلاد واسبابهُ . للدكتور فليكس ريتول

٣٢٦ الحبوب المنشورة

٣٢٨ التقريظ والانتقاد

٣٣٠ طرائف من ادب العرب . لنقيب

٣٣٧ الشيخوخة وامالي حيوية . للدكتور امين ابو خاطر

٣٤٣ احصاء سكان مصر . للمستر كرايج مدير قلم الاحصاء

٣٥١ مصر منذ اربعمائة سنة . لديمتري افندي نقولا

٣٦١ الجامعة الالمانية . للاستاذ ستار جوردان

٣٦٨ ايام الحموم وبرد العجوز . لتوفيق افندي اسكاروس

٣٧٣ بغداد الحاضرة لمحمد افندي الهاشمي البغدادي (مصوّرة)

---

٣٨٣ باب تدبير المنزل * تعديل الاسنان (الارثودنيا) . الايكاك والتوبيطاريا

٣٩٠ باب الزراعة * استغلال الارض . تربية دود الحرير . صباغ مصري جديد . ضريبة المصدر . زراعة الرز في الدنيا

٤٠١ باب المراسلة والمناظرة * اصلاح غلط . الى ابناء العربية

٤٠٤ باب المسائل * وفيه ١٤ مسألة

٤٠٨ باب الاخبار العلمية * وفيه ٣٦ نبذة